كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ

الدكتور
محمد التيجاني السماوي

٢٠٢٢م

منشورات
مركز البحوث والدراسات والنشر
كلية الكوت الجامعة

٢١٣
س ٨٢٩ السماوي، محمد التيجاني
فانتظروا إني معكم من المنتظرين/ محمد التيجاني السماوي. - ط١. - بغداد: مطبعة الرفاه، ٢٠٢٢

٢٢٠ ص. ؛ ٢٤ سم.
١. الوعظ والارشاد أ. العنوان

م. و.
٢٩٥٨ / ٢٠٢٢

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-685-03-8

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٢٩٥٨ لسنة ٢٠٢٢ م

مطبعة الرفاه
07902823204

هوية الكتاب

اسم الكتاب: ـ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ـ

المؤلف: د. محمّد التيجاني السماوي

الموضوع: المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف

الناشر: مؤسسة صادق آل محمد صلى الله عليه وآله (للتحقيقات والنشر)

الطبعة: الأولى

تاريخ النشر: **1443 هـ . ق/ 2022 م**

سلسلة أهل البيت عليهم السلام

فَانْتَظِرُوا
إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ

الدكتور محمّد التيجاني السّماوي

الإهداء

إلى صاحب العصر والزّمان

إلى سُلالةَ النُبوَّة والعِتْرةِ المُطَهّرة

إلى أمل الإنسانية في كلّ المعْمُورة

إلى أمل الأنبياءِ والمُرسَلين في كلّ أهْدافِهمْ

إلى بقية الله ووَعْده الحَقِّ

إلى نور اللهِ الذي سَيَمْلأُ الأرَضَ كلّها

إلى النّور المحمّدي والهَدْي العَلَوِي

إلى روح الزّهراء والسرّ المستودِع فيها

إلى الصّديق العزيز الذي أشار بتأليف هذا الكتاب أبوعبدالله علي الحي أحيا اللهُ به سنّة الأئمّة الميامين التي هي سنّة خاتم الأنبياء والمرسلين صلّى الله عليه وعلى آله الطيّبين الطّاهرين

المقدّمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين المعصومين.

الحمد لله ربّ العالَمين والحمدُ لله الرّحمن الرّحيم والحمد لله المتفضّل على عبادِه بالنّعم التي لا تُحصى ولا تعُدْ، والحمد لله الذي لم يتّخذ صاحبة ولا ولدْ، والحمد لله الباسط الرزق لعباده بدون إنقطاع ولا حدْ، والحمد لله الذي وسعتْ رحمتُه كلّ شيء وازدادتْ مَدَدْ، والحمد لله غافر الذنب وقابل التّوب من كلّ أحَدْ ، والحمدلله قاهر الجبّارين مُبير الظالمين مدرك الهاربين صَريخَ المستصرخين، والحمد لله القريبُ المُجيبُ لدعوة السّائلين، والحمد لله والشكر لله في كلّ وقتٍ وحينٍ.

وأزكى الصلاة وأبهى السلام على سيّدنا ومولانا محمدّ بن عبدالله المبعوث رحمةً للعالمين صاحب الخُلق العظيم والمنهج القويم وهو الصراط المُستقيم.

أشهدُ أنه قد بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة ونصح للأمّة وجاهد في سبيل الله حقّ جهادهِ حتى أتاهُ اليقين فبخٍّ بخٍّ لمن تولاه وتبعهُ بصدقٍ وإخلاصٍ وفَداهُ بالنفس والنّفيس إبتغاء مرضاةِ الله وكان من الشاكرين ورضوان الله تعالى على أصحابه المنتجبين المخلصين الذين ثبتوا من بعده على الولاء والنُّصرة لأمير المؤمنين وما غيّروا وما بدّلوا ، وكانوا لله من الشاكرين.

ولعنّة الله وتَعْساً على كلّ المُنافقين الذين جرّعوه الغُصص طيلة حياته وتآمروا على قتله وهمُّوا بما لم ينالوا وانقلبوا من بعده على أعقابهم فنكّلوا بعترته فشّردُوهم وقتلوهم وعمدوا على تحريف الدّين وأنشأووا بذلك مذاهب وفرق متعددة لا زالت مختلفة إلى يومنا هذا.

فبئسما خَلَفُوا نبيّهم في أهله وعترته وهو الذي أوصاهم عديد المرّات بقوله: «أذكركُمُ الله في أهل بيتي، اذكركُم الله في أهل بيتي، اذكركُم الله في أهل بيتي» أعادها ثلاث[1].

فأجابوه: سمعنا وعصينا يا محمّد سننتقم منهم جميعاً ثأراً لما فعلته بأسلافنا يوم بدر. وسنُغيّر الدّين الذي زعمتَ أنه من عند ربّك، فقد لعبتْ هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌّ نزل.

كما جاء ذلك في شعر يزيد بن معاوية الذي أصبح أمير المؤمنين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

هذا تلخيص وموجز للإسلام المحمّدي الأصيل الذي أنزله الله تعالى على خاتم المُرسلين ولم يتوفّاه إلا بعد أن أكملَ له الدّين وأتمّ نعمته عليه وعلى المسلمين ورَضِي لهم الإسلام ديناً، ولكن المنافقين والذين في قلوبهم مرضٌ قابلوا نعمة الله عليهم بالكفر ورضاه بالعصيان فبدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم وجحدوا به بعدما إستيقَنَتْه أنفسهم واشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.

(1) صحيح مسلم: حديث الثقلين.

تفرّق المُسلمون واختلفوا وتركوا من يهدي إلى الحقّ الشخص الذي ربّاه رسول الله في حجره فكان باب مدينة علمه وبمنزلة هارون من موسى وهو نفس النبيّ بنص القرآن واتّبعوا أربعة رجال سمّوهم أئمةً، ما عَرفَ أوّلهم وكبيرُهم نبي الإسلام ولا جالسهُ ولا سمع منه حديثاً واحداً.

ومن المعلوم أن أولئك الأربعة وُلدوا بعد أكثر من مائة عام من وفاته عليه الصلاة والسلام، ومن المؤكّد أيضاً أنّهم وُلدوا من بعد الفتنة الكبرى التي حصلت في عهد الصّحابة الذين إختلفوا بعد نبيّهم وكفّر بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً وكانوا هم السّبب الأول في اختلاف من جاء بعدهم ومن التّابعين وأصبح الإسلام مذاهب متعددة يقول كلّ واحدٍ منهم برأيه فتجد في المسألة الواحدة أقوالاً مختلفة ومتناقضة لا يكاد الباحث يطمئن إلى واحدٍ منهم، ليكون على يقين أنه مُصيب للحقّ الذي ليسَ بعده إلا الضلال.

السقيفة تؤسس ديناً على قياسها

فأي دين هذا الذي يقول صاحبه: رأيي هو الصّواب ويحتمل الخطا، ورأي غيري خطأ ويحتمل الصواب وهذا معناه أننا بنينا ديننا كلّه على الشكّ وليس عندنا حسب هؤلاء حُكماً واحداً مبني على اليقين.

والغريب أن بعض رجال الدين يستدلّون بهذه الأقوال بكلّ فخرٍ واعتزازٍ على حسن إجتهادهم وقوّة علمهم وكأن الله سبحانه وتعالى لم يُكمل دينه وتركه ناقصاً ليأتي هؤلاء الأئمّة الأربعة فيكملوا الدين باجتهادهم وآراءهم ، كبُرت كلمةٌ تخرجُ من أفواهِهم إن يقولوا إلا كذِباً.

أضرب لذلك مثلاً واحداً للدلالة على صدق ما نذهب إليه ، فقولهم في البسملة متعدد ، فمنهم من عدّها آية لكل سورةٍ ، ومنهم من قال بأنها آية في سورة النّمل فقط، ومنهم من عدّها أوّل

آية لفاتحة الكتاب، ومنهم من قال بأنّها مكروهة في الصلاة المفروضة ولا تُتلى إلا في الصلاة النافلة، ومنهم من قال بأن الصلاة باطلة من دونها، ومنهم من ذهب أنها تذكر للتبرّك، ومنهم من روى بأن كل أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ بالبسملة فهو أبتر وأقطع... إلخ

وكاختلافهم في الصلاة الوسطى على خمسة أقوال ، وكاختلافهم في المسافة الشرعية التي توجب الإفطار وتقصير الصلاة في السفر على أربعة أو خمسة أقوال.

ولعمري إنه أمرٌ بديهي إذا ما أوكِلَ الدّين لآراء واجتهادات الناس فسيكون اختلافه كاختلاف البصمات ولهذا السبب حصروه في الأئمّة الأربعة ، واُغلق باب الاجتهاد بعدهم.

ولقائلٍ أن يقول: هذا هو الأمر الواقع فما هو الحلّ؟

والحل حسب إعتقادي صعبٌ ، إن لم نقل بانه مستحيل؛ لأن التاريخ لا يرجع الى الوراء ليُصلح الأخطاء التي وقعت بل العكس فإن الخطأ الواحد سيكبر وتنجرُّ عنه أخطاء أخرى بمرور الزمن ويصبح من العسير أن يظهر الحقّ في رُكامٍ من الأباطيل التي ألفَها النّاس واعتقدوا بصحّتها وحتى في حالة معرفتنا للحقّ كيف لنا أن

نرجعه بعد مئات السنين فهل يمكن لعلي بن أبي طالبٍ أن يُبعث من جديد ليحكم في النّاس بكتاب الله وسنّة رسوله بلا تأويل؟

إنّه أمرٌ مستحيل!

قال لي أحدهم معترضاً عليَّ: لقد حكمَ علي بن أبي طالب مدّة خمس سنين فلماذا لم تستقم له الأمور بل قضى خلافته كلّها في الحروب وقتال المسلمين؟!

أجبته بجواب الإمام علي نفسه ، عندما جاءه رجلٌ وسأله لماذا اسْتتبَّ الأمر لأبي بكر وعمر ولم يستتب لك؟

فقال سلام الله عليه: لأن أبا بكر وعمر حكما أُناساً مثلي ، أما أنا فقدّر لي أن أحكم أُناساً مثلك.

وفي جوابه عليه السلام تعبيرٌ واضحٌ على ما قدّمناه إذ أن المجتمع أو ما يعبّر عنه اليوم (بالجيل) تغيّر كليّاً بمرور الزمن فالجيل الأول الذي عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله تأثر بنور النبوّة وأخلاق الرسالة المحمّدية والتعاليم القرآنية، ولو قُدِّر للإمام علي عليه السلام أن يحكم ذلك الجيل بعد وفاة النبي مباشرةً لما وصلت الأُمّة لهذا الحال المزرئ وهذا ليس ضربٌ من الخيال وادّعاءٌ بغير دليل.

فالتصوّر والافتراض ليس ممنوعاً أو مُحرّماً بل هو ممكناً وإذا كان الرسول صلى الله عليه وآله بجهاده وحكمته وأخلاقه أسّس دولة قوية حتى رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، كلّ ذلك في ظرفٍ وجيزٍ لا يتعدى ثلاث وعشرين سنة فماذا كان سيحصل لو تواصل ذلك الحكم بنفس الأسلوب طيلة ثلاثين سنة وهي المدّة التي عاشها الإمام علي بعد وفاة أخيه وابن عمّه محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله.

ولا يشكّ مسلمٌ درس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي في أن علي بن أبي طالب كان نسخةٌ طبق الأصل للنبي محمد صلى الله عليه وآله؛ فالجهاد والحكمة والأخلاق هي ميزة علي بن أبي طالب على كل المقاييس ونحن في غنىً عن ذكر خصائصه وفضائله فقد عرف ذلك أعداؤه قبل شيعته ومواليه.

ومن حقّنا أن نتصوّر أن الإسلام قد تمكّن من نفوس الناس طيلة ثلاث وخمسين عاماً، وقد دخل الإيمان في قلوبهم فقلّ بذلك عدد المنافقين والذين في قلوبهم مرض وتطهّرت الجزيرة العربية من كل المشركين، فقد كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وآله عند موته: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» كما أخرجه البخاري في صحيحه في الوصايا الثلاث.

أضف إلى كلّ ذلك لو أخذنا بحديث النبي الصحيح الذي ورد في كلّ الصحاح: أن الأئمّة إثنا عشر كلهم من قريش وفي بعضها كلّهم من بني هاشم وفي بعضها ذكر اسماؤهم فكان أوّلهم علي وآخرهم محمّد المهدي . وقد عاش هؤلاء الأئمّة طيلة 329 سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرون عاماً.

وقد شهد التاريخ وعلماء الأمّة لهؤلاء الأئمّة المذكورين بالعلم والتّقوى والزّهد والصّلاح وطهارة المولد.

فلنا أن نتصور كيف سيصبح العالم بأسره؟

لا شكّ أننا سوف نرى العالم كلّه مسلماً كلّه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول اللهﷺ وبذلك يتحقّق قول الله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، وقوله عزّ وجلّ: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾**[2].

(1) التوبة ، آية 33.
(2) الفتح، آية 28.

وإذا كان هذا، هو وعدٌ من الله سبحانه وتعالى أن يُظهر دين الحقّ وهو الإسلام، لأن الدّين عند الله الإسلام، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

فواقعنا اليوم والذي نعيشه ونشاهده هو عكس هذا ، فهناك دين اليهود، ودين النّصارى، وهم أكثر من المسلمين قوّة وعدداً ، إذا أضفنا لهؤلاء البوذيين والهندوس والملحدين وديانات أخرى لا مجال لحصرها ، فإن المنافقين والذين في قلوبهم مرضٌ سيشككون في وعد الله سبحانه وتعالى وسيقولون بأن القرآن فيه كذبٌ صريح!

أمّا المؤمنين الصادقين سيزدادون إيماناً وتثبيتاً بوعد الله سبحانه الذي قال لهم:

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[2].

وكذا قوله سبحانه وتعالى:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَيُوقِنُونَ﴾[3].

---

(1) آل عمران، آية 85.
(2) فاطر، آية 5.
(3) الروم، آية 60.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فيه دلالةٌ بيّنة أن وعد الله سبحانه إن لم يتحقّق عاجلاً فسوف يتحقّق آجلاً وبين العاجل والآجل زمنٌ غيبيٌّ لا يعلمه إلا الله. فليس على الإنسان المخلوق إلا الصّبر الجميل لمشيئة الخالق الذي يعلم ما يُصلح الإنسان وما يفسده والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

ومن لطف الله بعباده أن أعطى لهم حقّاً في الدّعاء والتوسّل بتعجيل الفرج وإتمام الوعد. فقال عز وجل: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامَاً﴾[1].

(1) الفرقان، آية 77.

إعتراض منطقي وليس حقيقي

في سنواتٍ خلتْ كنتُ في العاصمة العراقية بغداد ودُعيت لإلقاء محاضرة في مجمع علمي يلتقي فيه بعض رجال العلم من الشيعة والسنّة، وكان الموضوع الذي إقترحوه للمحاضرة هو (الخلافة الإسلامية هل هي شورى بين المسلمين لتكون ديمقراطية بالمفهوم المعاصر، أم هي بالنصّ الإلهي لتكون تيوقراطية).

ألقيت المحاضرة التي إستغرقتْ ساعة كاملة وتطرقت إلى النصوص القرآنية والنصوص النبوية لإثبات أنّها ـ أعني الخلافة ثابتة بالنصوص ولم تثبت بالشورى أبداً وأكبر دليل على ذلك قول عمر بن الخطاب : إن خلافة أبي بكر كانت فلتةً وقى الله المسلمين شرّها[1]. وفي رواية أخرى زيادة : فمن عاد لمثلها فاقتلوه!

---

(1) صحيح البخاري.

والتاريخ كلّه يشهد بأن بيعة أبي بكر تخلّف عنها كثير من الصحابة الذين لهم وزنهم أمثال علي والزبير والعباس وسعد بن عبادة وغيرهم كثير.

وذكرتُ أثناءالمحاضرة كلّ الحيثيات والأدلة التي شرحتُها في الصفحات السابقة من هذا الكتاب وأضفت بعدها بأن كلّ الذين تربعوا على كرسي الخلافة باستثناء أمير المؤمنين علي لم يصل واحد منهم للخلافة بالشورى أبداً من يوم السّقيفة وخلافة أبي بكر إلى يوم النّاس هذا فكلهم وصلوا إليها إمّا بالقوة والقهر أو بتعيين السّلف للخلف بما عُرِفَ بولاية العهد حتى وصلنا اليوم إلى المملكة السعودية التي لم تكتفِ بتعيين ولي العهد بل عيّنت وليّاً لولي العهد، وبعد نهاية المحاضرة فُتح باب المناقشة لمدة ساعة كاملة.

واعترض عليَّ بعضهم قائلاً: هل تؤمن بالقضاء والقدر أم لا؟

أجبته بنعم...

فقال: إذن سامحني أن أقول لكم بأن كلّ ما جئتُم به من أدلة أثناء المحاضرة هو ساقطٌ ولا معنى له .

قلتُ: لماذا؟

قال: لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أراد أن يكون أوّل خليفة لرسوله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وأخّر علي إلى أن يكون رابع الخلفاء الرّاشدين.

ثم أضاف قائلاً: ألم تقرأ القرآن الكريم وتتدبّر آياته؟

قلت: أرشدني إليه رعاك الله!

فقرأ قوله الله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1].

ماذا اقول لهذا الأستاذ الذي وقع ضحية لتأويل وتفسير بني أميّة لهذه الآية التي فسّروها على مقاسهم وأوعزوا إلى علماء بلاطهم أن يقنعوا الناس بأن ملوك بني أميّة وكذلك ملوك بني العباس الذين خلفوهم كلّهم من تنصيب ربّ العالمين فما على الناس إلا السّمع والطّاعة ومن عصاهم وخالفهم فقد عصى الله سبحانه ومن أطاعهم فقد أطاع الله سبحانه.

ألم يستدلّوا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[2].

---

(1) آل عمران، آية 26.

(2) النساء، آية 59.

فهم أولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم على كلّ المؤمنين وما أبعد هذا التأويل عن الحقيقة التي أرادها الله لعباده المخلصين ، وما أبعد تفسير الخلافة بالملك العضوض ، رجعتُ للأستاذ الذي إحتجّ عليَّ بالقضاء والقدر فقلت: نعم أنا كما أسلفت أومنُ بالقضاء والقدر ولكن ليس كما تفهمه أنت وأكثر النّاس .

فقال: دُلّنا على القضاء والقدر بفهمك رعاك الله!

فقلتُ: أمّا بالنسبة للقضاء فهو واضحٌ في كلام الله، كقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...﴾ وكذلك قوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيرا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ وهذا هو قضاء الله.

وأمّا بالنسبة للقدر فهو كذلك واضحٌ من كتاب لله كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ...﴾.

وقوله جل جلاله: ﴿قَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾.

وقوله جل جلاله: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

وقوله جلّ اسمه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

فهذا هو القضاء والقدر الذي ذُكِرَ في كتاب الله المجيد.

أمّا القضاء والقدر الذي ذهب إليه القدريون الذين نسبوا الظّلم الفاحش إليه سبحانه من حيث لا يشعرون إذ يقولون بأن الإنسان مسيّرٌ في كلّ شيء بحكم القضاء والقدر فيسقطون العدالة الإلهية بهذا الإعتقاد الفاسد في حين يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

و﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[2].

---

(1) يونس، آية 44.

(2) النساء، آية 40.

لكنّ ملوك بني أُميّة وبني العبّاس راقهم هذا التفسير للقضاء والقدر فطبّلوا له واستأجروا من يروي لهم هذا التّفسير على لسان النّبي كذباً وزوراً.

لأن هذا التّفسير سيُخدِّر الأمّة الإسلامية للإستسلام إلى ظلمهم وجورهم وأعمالِهم القبيحة تحت مظلّة هذا الإعتقاد وإنّنا لنجدُ هذا الإعتقاد سارٍ في الأمّة الإسلامية وأكثر الناس يميلون إلى هذا الفكر الشيطاني الذي أفسد مسيرة الأمّة وأصبحت الأحاديث الأموية والعبّاسية هي في قائمة الصحاح أمّا الأحاديث النبوية فهي عندهم ضعيفة أو مكذوبة وهكذا إنقلب الباطل إلى حقٍّ وانقلب الحقّ إلى باطلٍ فأصبح عليٌّ وأتباعه يُلعنون من فوق المنابر ويُقتلون تحت كل حجرٍ ومدر.

وأصبح حكّام الجور والظلم والفسق والفجور ينعمون بكلّ ملذّات العيش والنّاس يتقرّبون إليهم ويتمسّحون بأعتابهم إلى درجة التّقديس.

ولا مسْتُ من بعض المعترضين عليَّ ميُولاً واستحساناً لأقوالي ولكن بعضهم تعصّب وقال: لا أقتنع إلا بالقرآن؛ لأن الأحاديث النبوية فيها اختلاف كثير .

فقلتُ: حسناً لقد نطقت بالصّواب وسوف تهتدي إن شاء الله وهو القائل:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]. ويقصد بالجهاد هنا هو البحث العلمي.

نعم، لقد عالج القرآن الكريم هذا الموضوع في آيات عديدة من مُحكمات الكتاب ردّاً على شبهات المُتأولين الذين خلَوْ في الأمم السابقة والذين كانوا يعتقدون نفس ما يعتقده القدريُّون اليوم، فقال عزّ من قائل: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللّهُ مَاأَشْرَكْنَا وَلاَآبَاؤُنَا وَلاَحَرَّمْنَا من شَيْءٍ كَذلكَ كَذَّبَ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عندَكُم منْ علْم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إن تَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إلاَّ تَخْرُصُونَ* قُلْ فَللّه الْحُجَّةُ الْبَالغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2].

وهو كما ترى بيانٌ ما بعده بيانٌ ، لأن المشركين إعتقدوا بأنّ شركهم بالله هو بمشيئة الله سبحانه وليس بمشيئتهم أنفسهم، وهو قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللّهُ مَاأَشْرَكْنَا وَلاَآبَاؤُنَا﴾ بل ذهبوا أكثر من ذلك فقرّروا بأنّ حتى أعمالهم كلّها هي بمشيئة الله سبحانه وهو قولهم:

(1) العنكبوت، آية 69.
(2) الأنعام، آية 148ـ 149.

﴿وَلاَحَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ فكان ردّ الله عليهم بان هذا الإعتقاد هو محض الكذب عليه سبحانه وتعالى ولم تكن مشيئته لتُجبر الإنسان على الشرك وارتكاب المحرّمات.

وبيّن سبحانه وتعالى بأن هذه العقيدة الفاسدة توارثوها عن آبائهم وأسلافهم السابقين فقال:

﴿كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ فطلب سبحانه وتعالى من هؤلاء الكذّابين بأن يأتوا بدليل علمي على صحّة ما يقولون.

فلا برهان ولا دليل عقلي أو منطقي وما هو إلا إتباع الظنّ وتقليد أعمى لما كان عليه أسلافهم الأوّلين ثم يضيف سبحانه وتعالى بياناً شافياً لكل العباد بقوله: ﴿قُلْ فَلِلّه الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ولا بدّ لنا من وقفة هنا لشرح هذه الآية العظيمة والتي مفادها بان الله سبحانه وتعالى أودعَ في الإنسان مشيئة الإختيار وأعطاه حرّية كاملة بعد ما ميّزه بنعمة العقل الذي يُعرف من خلاله الحقّ من الباطل فقال:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ من رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ* لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ...﴾

والتكليف هو بمثابة أوامر الله ونواهيه مع حرية الإختيار، فالآية الكريمة تقرّر بأن مشيئة الله سبحانه لو كانت جبرية لأجبرت كلّ الناس على الهداية ولن تجد إنساناً واحداً في الضلالة.

وأذكر في هذا الصدد كلاماً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يشرح فيه معنى القضاء والقدر:

قال لأحد أصحابه بعد مسيرتهم إلى الشام فظنّ أنَه قدرٌ من الله «ويحك أظننتَ أنه قدراً مقدوراً وحتماً محتوماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثّواب والعقاب.

إنّ الله أمرنا تخييراً ونهانا تحذيراً، وكلّفنا يسيراً ولم يُكلفنا عسيراً وأعطى على القليل كثيراً.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِين كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[1].

قوله: إنّ الله أمرنا تخييراً أي مع الأمر الإلهي سعة الإختيار، فالله أمرنا بالصلاة مثلاً ولم يجبرنا عليها ، فنحن نختار إمّا طاعةً أو معصيةً.

ونهانا تحذيراً وترك لنا حرّية الإختيار كذلك فالله نهانا عن الزّنا مثلاً ولكن من يريده لا يمنعه الله.

---

(1) ص، آية 27.

ويختم الإمام كلامه بأن الذي يعتقد عقيدة الجبر هم الكافرون الذين يظنّون أن الله خلق السّماوات والأرض وما بينهما باطلاً فهؤلاء مصيرهم إلى النار وبئس القرار.

والخلاصة من كلّ هذا الكلام أن عقيدة الجبر تبطل الثواب والعقاب فليس هناك من يوم الحساب وليس هناك جنّة ولا نار وأبطلنا بذلك كلّ ما جاء به القرآن والعياذ بالله.

أخيراً إقتنع المُعارِضون بهذا الطّرح وطلبوا منّي المزيد من الزيارات وإلقاء المحاضرات ووعدتهم بقولي: إن شاء الله تعالى!

فصاح أحدهم ضاحكاً:

يا دكتور أنت الآن إعترفت بأنّك مُسيّراً ولست مُخيراً إذ قلت: إن شاء الله تعالى.

ضحكتُ لضحكه وأوضحت له بأني امتثل لأوامر الله سبحانه الذي علّمني بقوله:

﴿**وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذلِكَ غَداً* إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ...**﴾[1] وهو نظير قوله سبحانه وتعالى:

(1) الكهف، آية 23-24.

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ* وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وهو واضحٌ بأن أرواحنا وآجالنا بيد الله سبحانه فلا أدري متى أموت وقد لا أغادر هذه القاعة إلا وأنا ميتٌ وتلك هي مشيئة الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه يُحاسبني على مشيئتي ولا يُحاسبني على مشيئته.

إرتمى عليَّ مصافحاً ومُقبّلاً وقال أمام الحاضرين لقد استفدتُ في هذا اليوم وإنّي أتوبُ إلى الله من عقيدتي القديمة.

قلتُ: تقبّل الله أعمالك بأحسن القبول.

(1) التكوير، آية 28-29.

الإنقلابُ الخطير

قدّمنا في ما سبق الأُطروحة الإسلامية التي أرادها الله لعباده الذين بعث فيهم آخر الأنبياء وخاتم المرسلين ، فأمّتُهُ هي آخر الأمم مرشّحة لتكون خير أمّة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ولتكون منارةً مضيئةً لتملأ الكون كلّه بالهُدى ودين الحقّ، فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا بوذي ولا مُشرك ولا مُلحد، إلا شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدّاً عبده ورسوله وكلّ يؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورسله ولا يفرقون بين أحدٍ من رسله ويُدينون بالسّمع والطّاعة لربّهم الواحد الأحد الذي إليه مصيرهم جميعاً.

ما أعظم هذا الرّسول وما أعظم هذا الدّين الذي أُنزل عليه وجاء به، وما أعظم هذه الأمة لولا الإنقلاب الخطير الذي حدث فيها!

والإنقلاب ليس بدْعةً في أمّتنا المحمّدية وإنّما هو عادةٌ بشرية على مرّ العصور والأزمان وقد حدثنا الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد عن الإنقلابات التي حدثت في الأمم الغابرة وبالخصوص في الأمم القريبة من تاريخنا كالأمّة الموسويّة التي أُرسل فيها موسى عليه السلام والأمّة التي أُرسل فيها عيسى عليه السلام ، ولذلك جاء في القرآن الكريم قوله عزّوجلّ:

﴿وَمَا مُحمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ أَفَإنْ مَاتَ أَوْ قُتلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابكُمْ وَمَن يَنْقَلبْ عَلَى عَقبَيْه فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكرِينَ﴾[1].

وأنا شخصيّاً لا أتعجّب من إنقلاب الأمم ولكن عجبي لا ينتهي عندما أعرف بأن شخصاً واحداً بأفعاله وأقواله ومواقفه الجريئة يكون سبباً في ضلالة الأمّة وانحرافها عن الصّراط المستقيم!

فلا يمكن لي تصديق ذلك لولا أنه وردَ في القرآن الكريم وهو كلام الله أصدق القائلين الذي قال:

﴿وَأَضَلَّ فرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾. وقال أيضاً:

﴿قَالَ فَإنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ من بَعْدكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامرِيُّ﴾.

رجلٌ واحد مثل فرعون يتسبّب في ضلالة قومه جميعاً.

---

(1) آل عمران، آية 144.

ورجلٌ واحد مثل السّامري يتسبّب في ظلالة بني إسرائيل . قوم موسى الذين رأوا معجزات الله بأعينهم .

ورجلٌ واحد مثل يهودا يتسبّب في قتل المسيح عليه السلام وارتداد النّصارى.

وعلى هذا القياس لا أشكّ في أن أحد المنافقين كان مندسّاً في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وهو الذي كان السبب في إنقلاب الأمّة على أعقابها.

وبالتأكيد أن هذا الشّخص المنافق كان يتقرّب إلى النبي بشتى الوسائل ويتظاهر بحرصه على الدّين حتى لا يشكّ أحدٌ في إيمانه وإخلاصه لبتمكّن في الوقت المناسب من التمرّد على النّبي والإنقلاب على كلّ ما جاء به.

وأترك هذا الإستنتاج للباحثين الأوفياء والمُخلصين لمعرفة الحقّ بأن يزيحوا القناع عن وجه هذا المنافق الذي لا يزال مجهولاً وقد يكون محلّ تقدير واحترام من جلّ المسلمين الذين يظنّون خيراً بكلّ من صاحب الرسول صلى الله عليه وآله.

مؤامرة السّقيفة ونتائجها

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1]

بدأت المؤامرة للإنقلاب والتخطيط له في الأشهر الأخيرة من حياة الرّسول صلى الله عليه وآله تآمروا على قتله وباؤوا بالفشل فهمّوا بما لم يَنالوا، وعرفوا ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فلم يبق لهم إلا الإعتراض على أوامره سرّاً وعلانيةً بل واتّهامه بالهجر والهذيان حتى يُسقطوا هيبته ويشكّكوا في عصمته.

وازدادوا غواية وضلالاً عندما طعنوا في تأميره أسامة بن زيد على جيش جمع فيه أكثر الصحابة من المهاجرين والانصار وتمرّدوا وتثاقلوا ولم يخرجوا حتى لحق بالرّفيق الأعلى بأبي هو وأمّي.

---

(1) آل عمران، آية 144.

بعد ذلك سارعوا إلى السّقيفة لحياكة المؤامرة وإعلان الإنقلاب على أوامر الرّسول الذي عيّن لهم علي بن أبي طالب خليفة له وأميراً للمؤمنين من بعده، إنقلابٌ على رجل بايعوه في حياة نبيّهم في غدير خمّ بقولهم بخٍّ بخٍّ لكَ يا ابن أبي طالب أصبحت مولانا ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

ولستُ مضطرّاً لسرد ما وقع يوم السّقيفة ذلك اليوم المشؤوم الذي نُكبت فيه الأمّة بموت نبيّها كما نُكبت بعزل وصيٍّ هو خير الأوصياء ووليّ هو سيّد الأولياء وعالمٌ لا يبلغ درجته العلماء.

وتمخّضت مؤامرة السّقيفة على تنصيب رجل من كبار القوم سنّاً لا يعرف من كتاب الله قليلاً ولا كثيراً وتكفيني شهادته شخصيّاً والتي سجّلها عليه التاريخ، ففي حين كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما من آية نزلت بليل أم بنهار في واد أو في جبل في سفر أم في حضر إلا وعندي علمها وتأويلها وفي أي شيء نزلت وماذا يُراد منها...».

كان أبو بكر يقول: «أي سماء تُظلّني وأي أرض تُقلّني أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم». قالها عندما سأله أحد الصّحابة عن الأبِّ في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾.

والله سبحانه وتعالى يقول بصريح العبارة:

﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

نعم، نتيجة السّقيفة أنّه تأخّر من يَهْدي إلى الحقّ وتقدّم من لا يهدي إلا أن يُهدى، وقد إعترف هو نفسه بهذه الحقيقة في أوّل خطبة له عندما قال:

«لقد وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيركم».

هو يعلم أنّ عليّاً خيرٌ منه وأفضل في كلّ شيء.

ومن نتائج السّقيفة أيضاً الردّة التي وقعتْ عند بعض القبائل العربية وعند مانعي الزكاة.

وكلّ هؤلاء لم يكونوا راضين بخلافة أبي بكر وأدركوا مُبكّراً خطورة الإنقلاب وأبعاد المؤامرة التي تُهدّد الإسلام من أساسه.

ولذلك كانت تلك الحروب الدّامية والإبادة الجماعية لإسكاتهم ودفن ثورتهم المعارضة لحكومة السّقيفة .

ومن نتائجها أيضاً إرهاب المعارضة الداخلية التي تمثّلت بعلي والعبّاس والزبير وكل بني هاشم الذين تخلّفوا عن البيعةوكذلك سعد بن عبادة زعيم الخزرج وسيّد الأنصار .

---

(1) يونس، آية 35.

ومن نتائج السّقيفة الهجوم علي بيت الزّهراء بنت المصطفى وحرق بابها بالنّار والتّهديد باضرام النار في كلّ الدّار إن لم يخرج المتخلّفون فيه لبيعة أبي بكر.

ومن نتائجها (السّقيفة) إجهاض الزهراء ومرضها واستشهادها وهي ساخطة غاضبة تشكو حيناً وتُدينُ أحياناً وتدعو الله عليهم في كلّ صلواتها.

وتُدفن سيّدة النساء في اللّيل سرّاً ولا يحضر جنازتها المسلمون ويبقى ضريحها مجهولاً إلى يومنا هذا.

ومن نتائجها مصادرة إرث الرّسول ونحلته[1] وسهم ذوي القربى وهو ما يُسمى اليوم سياسة التّجويع لكي يبقى أهل بيت النبوّة عيالٌ على حكومة السّقيفة التي عملت كل ما في وسعها لإهانتهم وإذلالهم وإبعاد النّاس عن ساحتهم، وتعمدت عزل أمير المؤمنين عليّاً طيلة خمس وعشرون عاماً مدّة الخلفاء الثلاثة.

ومن نتائج السّقيفة الفتنة الكُبرى التي سبّبت إنقسام المسلمين واختلافهم وتكفير بعضهم البعض حتى وصلوا للإقتتال فكانت حرب الجمل وحرب صفّين وحرب النّهروان تلك الحروب التي

(1) نحلته التي وهبها لإبنته الزهراء.

أكلتْ الأخضر واليابس وقُتل فيها آلاف المسلمين وفيهم المُحقّ وفيهم المُبطل فيهم من يدعو للجنّة وفيهم من يدعو إلى النّار.

ومن نتائج السّقيفة وصول المنافقين والطّلقاء إلى منصّة الخلافة ومراكز القيادة وعلى رأسهم معاوية ابن أبي سفيان وما أدراك ما معاوية وهو الإبن المدلّل لحكومة السّقيفة التي أهدت له ولاية الشّام من الأيام الأولى فنشأ وترعرع في تلك الحكومة طيلة ثلاثين عاماً يفعل ما يشاء ويحكم بما يشاء ولا يخاف ولا يخشى، وحكومة السّقيفة تُعطيه كل ما يشاء، فلم يُعزل ولم يُحاسب على طول المدّة وشدّة المحنة.

أمّا إذا أردنا تقريب الصّورة الحقيقية لجيلنا الحاضر فنقول بأنّ حكومة السّقيفة هي بمثابة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وأنّ معاوية بن أبي سفيان هو بمثابة إبنتها المدلّلة إسرائيل[1].

ومن نتائج السّقيفة أيضاً وصول أئمة الكفر والضّلالة أئمّة الظلم والجور أئمة الجهل والتخلّف ـ إلى سدة الخلافة.

---

(1) عذراً على هذه المقارنة والتشبيه أردتُ فقط أن أقول: إسرائيل الدولة اللقيطة الغير شرعية أصبحت تهيمن على الشّرق الأوسط، كما أن هذا الطليق ابن الطليق أصبح يقود الأمّة الإسلامية كلّها.

ومن نتائج السّقيفة أيضاً إحياء السنّة التي سنّها معاوية في سبّ ولعن علي بن أبي طالب على منابر المسلمين في كلّ الأقطار والتي دامت أكثر من سبعين عاماً.

ومن نتائج السّقيفة إغتيال أمير المؤمنين علي عليه السلام وقتل الإمام الحسن وقتل الإمام الحسين وإبادة عترة النبي وسبي حرائر أهل البيت وعلى رأسهم زينب الكبرى.

ومن نتائج السّقيفة إختلاف المسلمين إلى مذاهب وفرق متعدّدة كلّ حزب بما لديهم فرحون يخالف بعضهم بعضاً ويكفّر بعضهم بعضاً ونشأ من ذلك عداوة وبغضاء وأحقاد يصعب علاجها وتفاديها.

ومن نتائج السّقيفة تخلّف الأمّة الإسلامية وتأخّرها عن ركب الحضارة والعلوم التقنية والطبيعية بل جهلها بكلّ العلوم حتى أصبحنا نسمع الشعراء يقولون:

«يا أمّة ضحكت من جهلها الأمم».

ويكفي أن أراضيها مغتصبة ومحتلة ولا تقدر على تحريرها من إسرائيل.

ومن نتائج السّقيفة أن يقوم قديماً وحديثاً من يدعو إلى محق دين محمّد لأنه حسب زعمهم السبب في تخلّف المسلمين، هذا

رأي المعاصرين الذين بَهرتهم الحضارة والإختراعات، أمّا القدامى فكانت دعوتهم لمحق دين محمّد لإعادة النّاس إلى عصر الجاهلية والتخلّص من الأحكام والحدود التي فرضها الدّين على النّاس.

ولقائل أن يعترض عليَّ ويقول: متى قام الأوّلون ضدّ الدّين وقد كان في عصر الخلفاء الرّاشدين هو دستور المجتمع وكلّ يعمَل على نصرته؟

أقول: نعم، هذا ما تُرَوِّج له حكومة السّقيفة ووسائل إعلامها والمستفيدين منها، ولكن الواقع غير ذلك، فكم من حقائق طُمست عبر التاريخ وكم من أباطيل نُشرت لأن المؤرّخين لا يكتبون إلا ما يُرضي الحكومة ويمنعون كتابة ما يُغضبها.

ولذلك لا يمكن الإطمئنان إلى كتب التاريخ إطمئناناً كاملاً بل يجب الوقوف عندها بحذر.

لكن لما نقرأ ذلك في خُطب الإمام علي فلا نشكّ في صدقه فهو ليس مؤرّخاً وليس هو من عامّة النّاس بل كانت خُطبه في النّاس عندما كان خليفة ولا يشكّ مسلمٌ في صدقه، إليك مقطعاً من تلك الخُطبة:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّـهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وَ مُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ فَلَمَّا مَضَى تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ

فَوَاللَّه مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَ لَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِه صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِه وَ لَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِه فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيه ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِه عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ وَ اطْمَأَنَّ الدِّينُ وَ تَنَهْنَهَ».

والخلاصة أنّ رزيّة الأمّة الإسلامية ومصائبها وانحطاطها وتخلّفها كلّه من نتائج إنقلاب السّقيفة.

وقد تنبّأتْ فاطمة الزّهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بما ستؤول إليه الأمّة بعد الإنقلاب وما حصل في السّقيفة في خطبة حزينة سأنقل محلّ الشاهد منها وهو قولها:

«أمّا لَعَمْري لَقَدْ لَقِحَتْ فَنَظِرَةٌ رَيْثَمَا تُنْتَجُ ثُمَّ احْتَلَبُوا ملأ الْقَعْبِ دَماً عَبِيطاً وَزُعَافاً مبيداً، هُنَالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَيَعْرِفُ التَّالُونَ غِبَّ مَا أَسَّسَ الأَوَّلُونَ، ثُمَّ طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُساً وَاطْمَئِنُّوا لِلْفِتْنَةِ جَأْشاً وَأَبْشِرُوا بِهرج شَامل وبِسَيْفٍ صَارِمٍ وسَطوة مُعتدٍ غاشم

وَاسْتَبْدَاد منَ الظَّالمينَ يَدَعُ فَيْئَكُمْ زَهيداً وَجمعكم حَصيداً، فَيَا حَسْرَةٌ لَكُمْ،وَأَنَّى بِكُمْ وَقَدْ عُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴿...أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾.

لقد عرفت الزهراء سلام الله عليها ما سيؤول إليه أمر الأمّة التي قضى أبوهاصلى الله عليه وآله حياته في تكوينها وترشيدها، وعاشتعليها السلام مدّة قصيرة بعد وفاة أبيها لكنّها مليئة بالبكاء والأحزان، مليئة بالوعيد والتّهديد ، مليئة بالحسرة والاسى ولحقت بأبيها وهي ساخطة غاضبة على أبطال السّقيفة تدعو عليهم في كلّ صلاتها، تاركة وراءها بعْلها وبنيها محزونين مقهورين خائفين.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَب يَنقَلِبُونَ﴾.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العّلى العظيم

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

لقد تكرّرت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم وفي سُور متعدّدة كسورة التّوبة والفتح والصّف.

وقد قدمنا في ما سبق من هذا الكتاب بأنّ هذا الوعد لم يتحقّق طيلة ألف وأربعمائه وأربعين سنة.

وقلنا أيضاً بأنّ وعد الله سبحانه وتعالى لابدّ أن يتحقّق في يوم من الأيام لقوله تعالى:

﴿وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقدّمنا في ما سبق قوله سبحانه وتعالى:

---

(1) الروم، آية 6.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَيُوقِنُونَ﴾[1].

وقوله: فاصبر دليل على طول المدّة وشدّة المحنة.

وهو نظير قوله تعالى:

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً* وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾، وكذا قوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِن نَهَارٍ...﴾.

أيّها المؤمنون المُخلصون عليكم بالصّبر الجميل حتّى يتحقّق وعد الله ويوم يتحقّق وعدُه سبحانه وترونه فكأنّكم لم تعيشوا في هذه الدنيا إلا ساعة واحدة من نهار لأن الزمان الذي أحصيتموه بألف وأربعمائة سنة ما هو في الحقيقة عند الله إلا يومٌ واحدٌ زائد أربعة ساعات! لماذا؟ لأن ربّ العالمين يقول:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[2].

---

(1) الروم، آية 60.

(2) الحج، آية 47.

ونفهم من كلّ ما تقدم من أبحاث أنّ الله سبحانه وعدنا بأن ديننا الإسلامي سيظهر على كلّ الأديان الأخرى فلا يبقى في الكون إلا المسلمين.

وعرفنا أيضاً بأنّ هذا الوعد من الله هو حقّ وسوف يتحقّق في يوم من الأيّام.

لا شكّ بأن الصحابة الذين عاشوا عهد الرسولﷺ لمّا نزلت هذه الآية: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾.

إنّهم إستبشروا وتفاءلوا بأن دينهم سينتصر على كلّ الأديان وفهموا من الآية الكريمة ما نفهمه نحن اليوم.

ولا شكّ بأن جيل التّابعين لهم بإحسان فهموا الآية الكريمة كما فهمها أسلافهم فهم ينتظرون تحقيق هذا الوعد الإلهي كما انتظره الذين من قبلهم.

وتوارثت الأمّة الإسلامية هذا الإعتقاد جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، ونحن نعيش مع ديانات أخرى مع اليهود والنصارى وهم الأقوى عدداً وعُدّة بل نرى بأن الذين نتهمهم بالكفر هم الفاعلين ونحن المفعولين هم القاهرين ونحن المقهورين.

حتّى وصل الأمر بانسلاخ بعض من شباب المسلمين من الدّين الإسلامي واعتنقوا المسيحيّة أو الإلحاد.

والإحصائيّات في الدول العربية والإسلامية لهؤلاء مُرعبة والنّداءات والصّيحات من بعض العلماء في كلّ مكان بدون جدوى فالذي يسمع ويرى ما يفعله الدّواعش باسم الإسلام والذي يرى ما وصلت إليه حالة المسلمين اليوم في سوريا والعراق وليبيا ومصر والسّودان واليمن كلّها حروب بين المسلمين أنفسهم، فهذه السّعودية الدولة الإسلامية الكبرى والتي من المفروض أن تدافع عن المسلمين في كل مكان، نجدها تنفق مليارات الدولارات لحرب المسلمين في اليمن، فتقتل الرجال والنساء والأطفال وتهدم البيوت والمدارس والمستشفيات والمساجد وتستعين باليهود والأمريكان والإنجليز والمرتزقة لتدمير دولة إسلامية في حالة ضعف.

والحرب دخلت عامها الثامن ولا يعلم أحد متى ستتوقف فكيف لا ينفر الشباب المثقف من هذا الإسلام؟

أضف إلى ذلك لمّا أصبح العالم بأسره كالقرية الواحدة وكثرت الفضائيات والتقنيات المحمولة وعرف الشباب من خلالها كلّ التّرهات التي سطّرها الأوّلون باسم الإسلام من قتل المرتد

وقتل تارك الصّلاة وزنا المحارم، ونكاح الميتة، ونكاح القاصرة، والتلذّذ بالرضيعة و... و...

لكلّ ذلك ترك المُثقّفون دينهم واعتنقوا الإلحاد أو العلمانية ليتخلّصوا من هذه المصائب التي كبّلتهم لعقود من الزمن.

وأنا أعتقد بأنّ كلّ هذه الترّهات وهذه المصائب هي أيضاً من نتائج الإنقلاب الذي أفرزته السّقيفة.

لماذا أخر الله وَعْدَهُ الحقّ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لابدّ لنا من فهم الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله لهداية الناس كلّ النّاس الموجودين في عهده إلى دين الحقّ وهو الإسلام، إذاً كلّف الله رسوله محمّداً بأنّ يَدْعو النّاس جميعاً لترك دياناتهم واتّباع الدّين الذي جاء به فقد جاء في كتاب الله قوله سبحانه:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

(1) الأعراف، آية 158 .

ولذلك فهمنا من قوله: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه أنّه لا يبقى دينٌ سواه، رغم أنف المشركين لأنهم أعداء الإسلام وقوله سبحانه: لِيُظْهِرَهُ بصيغة المُضارع والمستقبل لديل آخر على إمكانية التأخير والتأجيل.

فالتأجيل والتأخير هو تقدير العزيز العليم ولا يعلم التوقيت إلا هو سبحانه وتعالى نظير قوله:

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ...﴾[1].

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾[2].

﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا* فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا* إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا* إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا* كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[3].

إذاً على هذا المنوال لو سألنا رسول الله نفسه: متى سَيُظْهِر الله دينك على كلّ الأديان؟

---

(1) الأعراف، آية 181.
(2) الأحزاب، آية 63.
(3) النازعات، آية 42-46.

بالتأكيد جوابه سيكون نفس الجواب وهو العلم عند الله هو العزيز الحكيم الذي يعلم غيب السّموات والأرض.

ولعلّ الأطروحة التي قدمنا في طيّ هذا الكتاب تكون ممكنة إذا كان الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

فليس من المُحال فرضية أن يكون الله سبحانه قدّر ظهور الدّين المحمّدي على الدين كلّه طيلة حياة الأئمّة الإثنا عشر من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم، لهذا الغرض وقد استغرقت حياتهم ثلاثمائة وتسع وعشرون سنة وهو كما نرى وقت كافٍ لرسوخ الدين وظهوره بعد ثلاثة قرون من بعثته.

ولكن إنقلاب الأمّة بعد نبيّها عطّل هذه الفرضية لأن الأئمّة لم يتمكّنوا من إنجاز ما رشّحهم الله إليه من قيادة الأمّة إلى صراط الله المُستقيم.

ويبدو هذا الكلام غريب على عقول النّاس فكيف يُعيّن الله أئمةً فيتغلب عليهم النّاس ويقهرونهم.

وما على هؤلاء إلا فتح عقولهم والتدبّرفي القرآن الكريم ليعلموا ان الله سبحانه وتعالى لم يُعْصَ مغلوباً وهو الذي قال للسّموات والأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين.

ولكن قدّمنا أنّه سبحانه وتعالى لا يُجبر عباده على شيء بل أعطاهم حرية الإختيار فلا نعود لهذا مرّةً أخرى.

وعجبي لا يزول من هؤلاء المعاندين الذين يقرأون كلام الله سبحانه: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾[1]، وقوله سبحانه : ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾[2].

فهذه الآيات صريحة وبيّنة في أنّ الله سبحانه يختار من النّاس أنبياء ورسل ويبعثهم مُبشرين ومنذرين ولكن الناس يُكذّبوهم ويقتلوهم بغير حقّ ظلماً وعدواناً فكيف يصحّ لأولئك المشكّكين بعد هذه الأدلة القرآنية القول بالإستحالة.

ونستنتج من هذا الطّرح أن التأخير لظهور الدّين الإسلامي على الدّين كلّه سببه تصرّف العباد تجاه أوامر الله وأحكامه وإختياره.

قال سبحانه وتعالى توضيحاً لهذا المعنى الذي نذهب إليه: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[3].

---

(1) البقرة، آية 87 .

(2) النساء، آية 82.

(3) الذاريات، آية 96 .

ولقائل أن يقول: لماذا لا ينتقم الله من المجرمين؟

والجواب أيضاً من عند الله في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّة وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَل مُّسَمّىً فَإِذَا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَاده بَصِيراً**﴾[1]. وقال أيضاً: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّة وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَل مُسَمّىً...**﴾[2].

وهذا الطّرح ليس بغريب عن الصّحابة المُخلصين الذين عاصروا الرسولﷺ وتعلّموا منه كلّ هذه الحقائق ولكن المفاهيم المُنحرفة عن جوهر الإسلام راجت بعد وفاة النّبيﷺ بإنقلاب السّقيفة.

ولإثبات هذا سأعرض المحاورة التي دارت بين عمر بن الخطاب وعبدالله بن عبّاس والتي أخرجها أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم ففيها أدلّة قطعية على صدق ما نذهب إليه، إليك المحاورة:

ـ قال عمر لابن عبّاس: يابن عبّاس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد؟

---

(1) فاطر، آية 45.

(2) النحل، آية 61.

ـ ابن عبّاس: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يُدريني.

ـ فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجعاً بجعاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت.

ـ ابن عبّاس: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمط عنّي الغضب تكلمتُ.

ـ عمر: تكلم يابن عبّاس.

ـ ابن عبّاس: أمّا قولكم يا أمير المؤمنين إختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت ، فلو أن قُريشاً إختارت لأنفسها حيث إختار الله عزّوجلّ لها لكان الصّواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأمّا قولك إنهم كرهوا لنا النبوّة والخلافة فإن الله عزّوجلّ وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾.

ـ فقال عمر: هيهات والله يابن عبّاس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرك عنها فتزيل منزلتك منّي.

ـ ابن عبّاس: وما هي يا أمير المؤمنين فإن كانت حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

ـ عمر: بلغني أنّك تقول إنّما صرفوها عنّا حسداً وظلماً.

ـ ابن عبّاس: أمّا قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبيّن للجاهل والحليم، وأمّا قولك حسداً فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

ـ عمر: هيهات أبتْ واللهِ قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول وضغناً وغشاً ما يزول.

ـ ابن عبّاس: مهلاً يا أمير المؤمين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغش فإن قلب رسول اللهﷺ من قلوب بني هاشم.

ـ عمر: إليك عنّي يابن عبّاس.

ومن خلال هذه المحاورة يتبيّن لكلّ باحث بأن سقيفة بني ساعدة كانت تجمع أبطال الإنقلاب الذين إغتصبوا حقّ بني هاشم في الخلافة فأبعدوا عليّاً وقدموا أبا بكر.

ونفهم من خلال المحاورة أيضاً بأنّ الله سبحانه إختار للمسلمين خليفة ووصيّاً فكرهت قريش ما إختاره الله لها واختارت لأنفسها كما صرّح بذلك بطل قريش ومُحاميها ومؤسّس البيعة وبانيها والذي هدّد بحرق الدّار وبنت المصطفى فيها ألا وهو عمر بن الخطاب الذي تضارب في أقواله وأفعاله فحكم على الخلافة التي شيّدها وأسّسها بأنّها كانت فلتةً وقى الله شرّها ومعنى الفلتة أنّها

باطلة، فإذا كانت خلافة الأوّل فلتةً فخلافة الثاني هي وليدة تلك الفلتة وما بُني على الباطل فهو باطل.

إذاً تأكَدنا بأن ظهور دين الإسلام تأخّر بسبب إنقلاب الأمّة بعد نبيّها صلى الله عليه وآله وعصيانها لأمر ربّها.

كما تأكّدنا أيضاً بأن رحمة الله ولطفه بعباده شملت كل المسلمين والمنافقين أيضاً والظّالمين فلو يؤاخذ اللهُ النّاس بظلمهم ما ترك عليها من دابةٍ ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى.

كما عرفنا وتحقّقنا بأن الله سبحانه وتعالى وعدنا بإظهار دينه الإسلامي على الدّين كلّه وأنّه أخّر هذا الظهور إلى أجلٍ لا يعلمه إلا هو.

ولنا بعد كلّ هذه المعلومات أن نتساءَل: متى، وكيف سَيظهر دين الإسلام على الدّين كلّه.

سُنّة الله في خلقه

عرفنا من خلال القرآن الكريم بأن حكمة الله إقتضت بعث الأنبياء والمرسلين إلى الأمم ليخرجوهم بأمر الله من الظّلمات إلى النّور ويهدونهم إلى صراط الله المستقيم ويُبشروهم بجنّة النّعيم وينذروهم من عذاب يوم عظيم، قال تعالى:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

كما يُعلمنا الله سبحانه بأنّه لم يترك على وجه الأرض أمّة بلا رسول:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

---

(1) المؤمنون، آية 44.

(2) النحل، آية 36.

كما عرفنا من خلال القرآن الكريم وكذلك من التاريخ بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبيّ ولا رسول من بعده صلى الله عليه وآله.

الإمام المهدي ضرورة دينيّة

وصلنا بحمد الله تعالى بعد البحث والتدبّر العلمي بأنّ إصلاح النّاس لا يأتي من العدم ولابدّ من شخص يقوم بهذه المهمّة العظيمةوهي إرجاع النّاس إلى حقيقة الإسلام المحمّدي الذي كان مُكمّلاً لكلّ الشرائع الإلهية التي وصلت بالإنسان الى درجة الكمال البشري، قال تعالى:

﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ...**﴾[1].

وهذا الشخص المكلّف بهذه المهمّة العظيمة ليس هو بنبيّ ولا رسول، وقد قرّرنا فيما سبق أنّه لا نبيّ ولا رسول بعد محمّدﷺ.

إذن يمكن لهذا الشخص أن يكون إماماً ومن مهمّة الإمام هداية النّاس إلى صراط الله المستقيم، قال تعالى:

﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ...**﴾[2].

---

(1) المائدة، آية 48.

(2) الأنبياء، آية 73.

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

عرفنا من خلال القرآن الكريم بأنّ الإمامة هي منصبٌ إلهيٌّ يؤتيه الله لمن يشاء من عباده باستثناء الظّالمين.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[2].

بعض المفسّرين يذهبون إلى هذا المعنى فيقولون أنّ الله سبحانه وتعالى ما اتّخذ وليّاً إلا علّمه الحكمة وأنّ أولياء الله الذين لا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون هم الأئمّة الذين إصطفاهم الله من عباده الصّالحين لقيادة النّاس بعد رحيل نبيّهم وإرشادهم إلى الصّواب.

وهذا ما كان عَبر تاريخ الأنبياء المرسلين فالنّبي موسى عليه السلام كان له إثنا عشر نقيباً والنّبي عيسى عليه السلام كان له إثنا عشر حواريّاً والنبي محمّد صلى الله عليه وآله كان له إثنا عشر إماماً أيضاً، وقد سمّاهم بأسمائهم في بعض الروايات، ولكن البخاري ومسلم[3] أخرجوا الحديث مبتوراً إذ ذكروا العدد ولم يذكروا الأسماء، وفي بعض

(1) البقرة، آية 124 .
(2) البقرة، آية 269 .
(3) صحيح البخاري 2034، حديث وصحيح مسلم 3/ 1452.

مسانيد أهل السنّة ذكر حديث: «الأئمّة من بعدي إثنا عشر أوّلهم عليّ وآخرهم محمّد المهديّ»[1].

وقد ذكر البعض من علماء السنّة رواية الأئمّة بعددهم وأسمائهم بالإسناد إلى جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا جابر إنّ أوصيائي وأئمّة المسلمين من بعدي أوّلهم عليّ، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمّد بن علي المعروف بالباقر، ستُدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرأه منّي السلام، ثم جعفر بن محمّد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمّد بن علي، ثم عليّ بن محمّد، ثم الحسن بن علي، ثم القائم، إسمه إسمي وكنيته كنيتي، محمّد بن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا من أمتحن الله قلبه للإيمان[2].

نعم، هذا عدد الأئمّة وأسماؤهم وقد نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تواترت الأحاديث فيهم عند الشّيعة والسنّة، ولكن صحاح أهل السنّة كالبخاري ومسلم ذكروا العدد وتحاشوا أن

(1) مستدرك الحاكم.
(2) ينابيع المودّة 3/ 593 .

يذكروا الأسماء، وهذا ليس بغريب لأنّهم من خريجيّ مدرسة السّقيفة التي عملت من اليوم الأوّل على إقصاء أمير المؤمنين علي والحسن والحسين ودأبت على ظلمهم وإسقاطهم في أعين النّاس حتّى قام أئمّتهم بسبّهم ولعنهم من فوق المنابر لمدّة سبعين عاماً.

فلا يستغرب إذنْ من البخاري ومسلم وبقية المحدّثين الذين كانوا مُعاندين لأهل البيت ويتقرّبون لأعدائهم بشتيمة أهل البيت وبني هاشم ووضع المثالب لهم.

وإليك دليلاً من صحيح البخاري:

نقل البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وآله طرق الباب على عليّ وفاطمة ليلةً فقال: ألا تصلّيان؟ فقال علي: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا.

فانصرف رسول الله وهو يضرب فخذه ويقول : وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً[1]. كما روي البخاري في صحيحه.

وعن عبدالله بن عمر: كنّا في زمن النّبي صلى الله عليه وآله لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النّبي صلى الله عليه وآله لا نفاضل بينهم[2].

(1) صحيح البخاري ، حديث رقم 1127.
(2) صحيح البخاري ، حديث رقم 3697.

فعلي ابن أبي طالب الذي ملأت فضائله الخافقين كما يقول أحمد بن حنبل فهو عند البخاري ليس له فضلٌ ولا فضيلة فكلّما إقتربنا من عهد السّقيفة كلّما وجدنا البغض والحسد والكراهية لأهل البيت أكثر فأكثر.

وما عشت أراك الدّهر عجباً، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

بَقِي أن بعض المعاندين الذين يحاولون بكلّ جهودهم تكذيب الأحاديث النبوية التي ذكرت أسماء الأئمّة بالتفصيل ويقولون كيف عرف الرسول أسماءهم قبل وجودهم؟

لقد غاب عن هؤلاء المشكّكين قول الله سبحانه وتعالى في رسوله الأمين محمّداً صلى الله عليه وآله: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1]. هل غاب عنهم أنّ الرسول يتلقّى كلّ المعلومات بوحيٍ من عند الله الذي يعلم كلّ شيء.

فهذا القرآن بين أيدينا وفيه من أخبار الأوّلين منذ خلق الله آدم عليه السلام وقصص الأنبياء مع أقوامهم وقصة الملوك والفراعنة التي

(1) النجم، آية 3-4.

دارت بينهم، فهل كان محمّداً صلى الله عليه وآله حاضراً معهم؟!! كلا، إنّما هو وحيٌ من ربّه.

فكيف تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟

إنّه علم الله، الله أوحى لرسوله بأسماء الأئمّة الذين اصطفاهم ليُواصلوا نشر الرسالة المحمّدية والمحافظة عليها من تحريف المنحرفين وزيغ المُبطلين وترّهات المنافقين.

ولم يبق لكم أيّها المشكّكون إلا أن تتعجّبوا من علم الله المُسبق بأسماء الأئمّة.

فما عليكم إلا مراجعة عقائدكم وقراءة القرآن بعقولكم حتّى يتبيّن لكم الحقّ من الباطل وتفرّقون بين الأبيض والأسود.

فاستمعوا لقوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الْدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1]. وقال أيضاً:

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾[2]. وقال أيضاً:

---

(1) آل عمران، آية 45.

(2) مريم، آية 7.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُول يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1].

وهكذا سمّى الله سبحانه عيسى بن مريم قبل ولادته كما سمّى يحيى قبل ميلاده، وسمّى أحمد قبل ميلاده بخمس قرون، فهل يُستبعد أن يُسمّي الأئمّة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله ؟!!

(1) الصّف، آية 6.

آيةُ الإصطفاء

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وأخرج البخاري عن ابن عبّاس قال: آل إبراهيم وآل عمران المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمدﷺ بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ونحن لا نشكّ في أنّ الأئمّة الإثنا عشر من عترة النّبيﷺ هم من الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا قادة للأمّة المحمّدية بعد رحيل نبيّها، فهم سفن النّجاة ومصابيح الهدى من رجع إليهم في العقائد والمفاهيم الإسلاميّة وقلّدهم في الفقه بكل العبادات والمعاملات فقد اهتدى ونجا ومصيره الجنّة؛ ومن عصاهم

(1) آل عمران، آية 33-34.
(2) البخاري ج3 / 1265.

وخالفهم واتّبع غير سبيلهم فقد ضلّ وغوى وصار من حزب الشيطان ومصيره إلى جهنّم.

وهذا ليس إدّعاء وغلوّ في أهل بيتٍ أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

فقد تفرّدوا بالفضائل والمناقب والمكارم التي خصّهم الله بها فلا يُقاس بهم أحدٌ في هذه الأمّة أبداً.

فهذا الإمام علي عليه السلام يقول في خطبته في نهج البلاغة:

«لا يُقاس بآل محمّد صلى الله عليه وآله أحدٌ في هذه الأمّة، ولا يسوّى من جرت نعمتهم عليه أبداً».

وعنه أيضاً: «نحن أهل البيت، لا يُقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن، وفينا معدن الرسالة».

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «بنا فتح الله الدّين وبنا يختمهُ».

وحتّى لا يُقالُ بأنّي أحتجُّ بأقوال الشّيعة (مع أن أقوال الشّيعة هي الصحيحة) فإليك أقوال أحد أئمّة أهل السنّة والجماعة وهو الإمام أحمد بن حنبل:

قال عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنّة:

قلت لأبي (أحمد بن حنبل) ما تقول في التّفضيل؟

قال: في الخلافة: أبو بكر وعمر وعثمان، فقلتُ: فعلي.

قال: يا بني علي بن أبي طالب من أهل البيت لا يُقاس بهم أحد!

وعنه أيضاً: قال: كنت بين يديّ أبي جالساً ذات يوم فجاءت طائفة من الكرخية ، فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر، وخلافة عثمان وخلافة علي بن أبي طالب، فزادوا وأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم وقال:

يا هؤلاء قد أكثرتم القولَ في علي والخلافة، إنّ الخلافة لم تزيّن عليّاً بل عليٌّ زيّنها[1].

لذلك نجد أساطين الأمّة وعلماؤها يلجأون إليهم في كلّ ما أشكل عليهم من معضلات فلا يجدون الحلّ إلا عندهم .

فكم من مرّة يقول أبو بكر الخليفة الأوّل:

«معضلة ليس لها إلا أبو الحسن» أو «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبوحسن».

وكم من مرّة يقول عمر الخليفة الثاني:

«لولا عليٌّ لهلك عمر» يقال أنه قال ذلك سبعين مرّة...

أمّا عثمان فحدّث ولا حرج إذ يقول المؤرّخون لو استمع الخليفة الثالث لنصائحه وإرشاداته لما وصل الأمر لما وصل إليه.

---

(1) مناقب أحمد لابن حنبل ص163.

سُئل الفراهيدي عن إستحقاق الإمام أمير المؤمنين الإمامة والخلافة، فقال: «لحاجة كلّ الخلق إليه واستغناؤه عنهم جميعاً» وهو عين ما صرّح به الإمام بن عرفة من علماء الزّيتونة في تونس عندما أثبت في بحثه إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام على الجميع، فقيل له: بأيّ دليل أثبت ذلك؟ فقال:

«إستغناؤه عن الكلّ واحتياج الكلّ إليه دلّ على أنّه إمام الكلّ».

وما لنا نحتجّ بما ثبت على مر العصور كالشّمس في رابعة النهار بأن أهل بيت النبوّة وهم الأئمّة الإثني عشر مقدّمون على غيرهم علماً وعملاً وزهداً وتقوى وإخلاصاً وصدقاً وحسباً ونسباً فهم صفوة الله سبحانه وتعالى في هذه الأمّة رغم أنف المعاندين والنّواصب والمنافقين الذين يحاولون إطفاء نور الله بأفواههم بما يبثّونه من تكذيب وتشويه ودعايات ورثوها من أسلافهم الأمويّين والعبّاسيّين الذين تربّوا على سبّ ولعن أهل البيت طوال سبعين عاماً حتّى أسقطها عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

لقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله مرّات عديدة طوال حياته إلى أخيه وابن عمّه علي بأنه أمير المؤمنين وأنّه إمام الأمّة من بعده حتّى كان يُعرف عند الصّحابة بالإمام.

يقول عبّاس محمود العقّاد في كتابه (عبقرية علي): إذا أُطلق لفظ الإمام لا ينصرف إلا إليه، يعني علي.

فلا يقال الإمام أبو بكر ولا الإمام عمر ولا الإمام عثمان وإنّما عُرف هذا اللّقب بهذا الإسم فقط لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

والحقيقة أنّي لا أُريد أن يكون كتابي في مديح وإطناب علي بن أبي طالب فقد كفاني مؤونة ذلك علماء النّصارى والمسيحيّين قبل شيعة وسنّة المسلمين .

وإنّما هي مقدّمة للإمام الأخير الثاني عشر الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه.

الذي اتّفقت عليه كلمة المسلمين جميعاً سنّة وشيعة على أنّه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت جوراً وظُلماً هذا لا يشكّ فيه أحدٌ منهم؛ ولكن خلافهم في تاريخ مولده إذ يقول الشيعة بأنّه وُلد في الخامس عشر من شهر شعبان سنّة مائتان وخمس وخمسون للهجرة النبويّة.

ويقول أهل السنّة والجماعة بأنّه سيُولد في آخر الزّمان؛ ومردُّ هذا الإختلاف طبيعي جدّاً لأن مدرسة السّقيفة التي عملت على إبعاد الأئمّة الاثني عشر من مسرح الحياة السياسيّة والاجتماعية والاقتصادية وعدم إبرازهم للنّاس بل عملت على منع الحديث

الذي يَذكُرهم وأسّست مذاهب لمعارضتهم واتّبع جلّ المسلمين تلك المذاهب جاهلين مقامات الأئمّة الطّاهرين وأسماءهم مُدّعين بأن الإسلام يتمثّل في المذاهب الأربعة فقط! ومن لا يقتدي بأحد هؤلاء الأربعة فليس بمسلم عندهم بل هو زنديقٌ، رافضيٌ، شيعيٌ، علويٌ مُباح دمه وحكمه حكم المرتدّ، يُقتل وتُصادر أمواله، وتُطلّق زوجته ... الخ.

من أجل ذلك كلّه لم يعرف المسلمون عامّة سلسلة الأئمّة الإثنا عشر، فإذا كان إختلافهم في الأوّل المعلوم والمشهور بالضرورة وهو الإمام علي عليه السلام فكان يُلعن على منابرهم بعد كلّ صلاة طوال سبعين عاماً، فكيف سيعرفون بقية الأئمّة من ولده الذين دأب ملوك بني أميّة على قتلهم وإبادتهم وخلفهم العبّاسيون على ذلك فنكّلوا بهم أكثر من الأمويّين.

وفي ذلك يقول الشاعر المعروف أبو فراس الحمداني رحمه الله في قصيدة طويلة يحكي فيها مظلمة أهل البيت عليهم السلام وما فعلته فيهم الأمّة بعد جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وأنا اقتطف منها مقطعاً كمحلّ شاهدٍ على ما أقول . يقول أبو فراس:

قامَ بها النّبي يوم الغدير لَهـــــــم

والله يشهد والأملاك، والأممُ

حتّى إذا أصبحتْ في غير صاحبها

باتتْ تنازعها الذؤبان والرّخمُ

وصيرتْ بينهنّ شورى كأنهـــم

لا يعرفون وُلاة الحقّ أيّهـــم

تالله ما جهل الأقوام موضعهـــا

لكنّهم ستروا وجه الذي عَلِمُوا

ثــم إدّعاها بنو العبّاس إرثهُـــمُ

ومالهـــم قـــدمٌ فيها ولا قدمُ

... حتى يقول:

ما نالَ منهم بنو حرب وإن عظُمتْ

تلك الجرائر إلا دون نَيلكُـــم

كم غدرة لكم في الدّين واضحةٌ

وكم دَمٍ لرسول الله عندكُـــمُ

أأنتم آلهُ فيما ترون وفي أظفاركم

مــن بنيه الطّاهريـــــــن دمُ

هيهات لا قربت قُربى ولا رحــمٌ

يوماً إذا أقضت الأخلاق والشّيم

والقصيدة طويلة ولكن الباحثين لا بدّ لهم من الإطلاع عليها للإستفادة منها.

أعودُ فأقول بأنّ أهل السنّة والجماعة لم يعرفوا إلى يوم النّاس هذا، أسماء الأئمّة وقد تجادلتُ شخصيّاً مع بعضهم في تونس فقالوا: نحن لا نعرف غير أبو حنيفة ومالك والشّافعي وابن حنبل، أمّا أئمّة الشيعة فلا نعرفهم ولا علاقة لنا بهم، والبعضُ منهم يذهب إلى أكثر من ذلك بقوله: إنّ أئمّة الشيعة كلّهم من الفرس المجوس الذين يُحاربون الإسلام.

يا سبحان الله! أرأيت أيّها القارئ الكريم كيف تُقلب الحقائق، أرأيت أين وصل تأثير مدرسة السّقيفة الظالمة؟ هل سمعت بالمثل القائل: لو عكستَ لأصبتَ؟!!

فلو بحثت علميّاً في التاريخ الإسلامي كلّه لتبيّن لك عكس ما يقولون؛ لأن أئمّة الشيعة كلهم عربٌ من نسل النّبي العربي الطّاهر المطهّر عليه الصلاة والسلام، وهل علي وأولاده هم من الفرس المجوس؟!!

لا أعتقد أن واحداً من المسلمين يقول بذلك. والعكس هو الصحيح لأن أئمّة أهل السنّة والجماعة أغلبهم من الفرس كأبي

حنيفة والشافعي وابن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة إلى غير هؤلاء...

والخلاصة أنّ أهل السنّة والجماعة يعتقدون بأنّ الإمام المهدي المنتظر غير معروف وسيُولد في آخر الزمان، ويرجع ذلك للأسباب التي ذكرتها في سابق هذا البحث.

أمّا الشيعة الذين شايعوا عليّاً والأئمّة من ولده واتّبعوهم على مرّ التاريخ فيعرفون ميلاد كلّ إمامٍ ووفاته ويحتفلون بمواليدهم ويتبادلون التّعازي في ذكرى وفياتهم عليهم السلام.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ

ولا بأس بذكر قصّةٍ وقعت معي شخصيّاً في مسقط رأسي مدينة قفصة في بداية الثورة الإسلامية الإيرانية تتعلّق بهذا الموضوع:

في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ثمانين للميلاد وهي ليلة القدر عند أهل السنّة والجماعة وفيها تُختمُ صلاة التراويح؛ سهرتُ في البيت أَستمع إلى مفتي الجمهورية التونسية السيّد الحبيب بالخوجة الذي كلّفه رئيس الجمهوية في ذلك الوقت وهو الحبيب بورقيبة بأن يُصدر فتوى يُعلن فيها تكفير الإمام الخميني مؤسّس الثورة الإسلامية في إيران وذلك بتحريض من الولايات المتحدة الأمريكية التي غاضها ما أحدثه الإمام الخميني من صحوة إسلامية في كلّ البلدان العربية والإسلامية، فاتّفقوا على ربط الإذاعة والتلفزة الوطنية التونسية بشبكات المحطّات الفضائية في كلّ دول الخليج ليكون لهذه الفتوى صَدى مؤثّر في العرب والمسلمين الذين تأثّروا بتلك الثورة العظيمة التي أسقطت عرش

الشّاه محمّدرضا بهلوي الذي تواصل حسب إدّعاءه أكثر من ألفي عام.

وخرج علينا مُفتي الجمهورية التونسية في تلك اللّيلة المقدّسة قائلاً بأنّ الخميني صرّح لبعض وكالات الأنباء العالمية: بأن جميع الأنبياء والمرسلين لم ينجحوا وفشلوا في أداء مهامّهم ولم يحقّقوا العدالة في الكرة الأرضية وسوف يتحقّق ذلك علي يد المهدي المنتظر في آخر الزمان.

يضيف مفتي الجمهورية قائلاً:

بأنّ كلام الخميني هذا كفرٌ صريح وردٌّ على الله ورسوله.

وعلى علماء المسلمين والمجامع الإسلامية في العالم أن يدينوا هذا الكلام ويردّوا على هذا الكافر بما يستحقّ.

وبعد نصف ساعة من هذا البلاغ طُرق بابي وخرجتُ فإذا بأحد الأساتذة الذين أعرفهم يدعوني إلى مجلس يضمُّ عشرة من علماء قفصة المشهورين الذين هم في إنتظاري بمناسبة ليلة القدر المبُاركة وظننت بادئ الأمر أنهم سيناقشون إعتراضي على صلاة التروايح التي كنت استنكُر إقامتها لأنها بدعة وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد نهى عن إقامة صلاة النافلة في جماعة فقلت في نفسي ما المانعُ

أن ألقاهم وأنا متسلّح بالأدلّة العقلية والنقلية من صحاحهم وكتبهم التي يعتمدونها.

فذهبت معه لذلك المجلس الذي أُقيم في مكتبة أحد الأساتذة البارزين والتي اشتهرت ببيع الكتب الدينية ووجدتُ بالفعل عشرة من العلماء من بينهم ثلاثة من أئمة الجمعة، رحبّوا بقدومي وأجلسوني بينهم، سلمتُ بدوري عليهم وقلتُ مُمازحاً:

هل أكملتُم اللّيلة بدعتكم التي أسميتموها بالتّروايح؟

لكن صاحب المكتبة وهو أستاذ مشهور في قفصة بعلمه وذكاءه قاطعني قائلاً:

ما لهذا دعوناك يا خميني[1] أُتركنا من التّراويح وحدّثنا عن صاحبك الخميني الذي إتّضح كفره في هذه اللّيلة وقاموا يسألونني هل تتبّعت فتوى مفتي الجمهورية؟ قلتُ نعم من أوّلها لآخرها.

فقالوا: وما رأيك؟ وهل أنت على عقيدته فيجوز لنا تكفيرك أيضاً؟

إستعذت من الشيطان وقلت لهم بلهجة ليّنة:

يا إخواني إتّقوا الله في عباده واعملوا بقوله سبحانه وتعالى:

---

(1) لمّاعرف الناس بأن الإمام الخميني هو شيعي وبما أنني كنتُ أدعوهم إلى التشيع فلقبوني بالخميني استهزاءً منهم ولكنه شرف لي كبير.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1].

قاطعني أحدهم قائلاً:

أتقصد أنّ مفتي الجمهورية هو...

قلتُ: دعني أكمل حديثي فأنا قرأت لكم آية قرآنية ولم أتّهم أحد، فتدخّل بعضهم لصالحي قائلاً: دعوناك لنعرف منك حقيقة هذا الرّجل فأنت تعرفه أكثر منّا.

قلتُ: هذا صحيح أعرفه غاية المعرفة منذ نزل في قرية «نوفل لشاطو» في فرنسا وكنت في أيّام الجمعة أنزل من باريس إلى تلك القرية لأصلّي خلفه ومن عجائب الصّدف أنّي أمتلك المقالة التي ذكرها مفتي الجمهورية وهي معي في بيتي وإذا أردتُم سأتيكم بها اللّيلة لتعرفوا أن ما قاله الإمام الخميني ليس هو ما صرّح به مُفتي الجمهورية في هذه الليلة.

قالوا: نحن نصدّقك ، قل لنا ماذا قال الخميني بالضّبط ، قلت: سُئل الإمام الخميني عن المهدي المنتظر فأجاب بأنّ الله سبحانه وتعالى أوكل لهذا الإمام أن يحقق العدالة الإسلامية في كل الأرض وهو مصداق قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «سيملأ الأرض

(1) الحجرات، آية 6.

قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلما». وهذا لم يتحقق في زمن الأنبياء والمرسلين . إنتهى كلامه.

قال أحد الأئمّة الحاضرين أنت لم تُخالف ما قاله مفتي الجمهورية وكأنّك أعدتَ نفس التّعبير!

فقلت: إن مفتي الجمهورية إستغلّ هذا التّصريح ليزيد فيه من عنده «بأن جميع الأنبياء والمرسلين لم ينجحوا وفشلوا في أداء مهامّهم ولم يحقّقوا العدالة في الكرة الأرضية» وهذا ما لم يَقلْه الإمام الخميني!

فقام إمام الجمعة الثاني مسانداً قول صاحبه فقال: كيف يدّعي الخميني بأنّ هذا لم يتحقّق في زمن الأنبياء والمرسلين؟ هذا كلام خطير يجب الوقوف عنده.

فقلت: لا ليس هذا الكلام خطير وهو الواقع، قالوا: كيف ذلك؟ قلت: سأسألكم وأجيبوني بصراحة.

هذا نبي الله نوح عليه السلام جُد الأنبياء بقي يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين، فهل إستجاب له إلا قليل؟

قالوا: صحيح ما تقول.

قلت: وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام من بعده إتّبعه قليل من قومه ومن أتباعه نبي الله لوط عليه السلام وقد أهلك الله قومه جميعاً، قالوا: هذا أيضاً صحيح!

قلت: وهذا نبي الله موسى عليه السلام أنقذ قومه من فرعون وشقّ لهم في البحر طريقاً ورأوا معجزات الله بأعينهم فلمّا غاب عنهم لميقات ربّه حتى عبدوا العجل من بعده فهل تحقّقت في زمانه العدالة في كلّ الأرض؟

قالوا: كلا وكلامك صحيح.

قلتُ: وهذا نبي الله عيسى عليه السلام جاء قومه بالبيّنات والمعجزات الباهرة كإحياء الموتى ومع ذلك تآمروا على قتله وصلبه وما إتبعه إلا القليل! صحيح أم لا؟

قالوا: صحيح.

قلتُ: وهذا خاتم الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله حاربه قومه وأخرجوهُ من مسقط رأسه خائفاً يترقّب وما إتّبعه إلا القليل وكانت وصيّته قبل موته: أن أخرجوا المشركين من جزية العرب!

قالوا: كلّ ما ذكرته صحيح.

قلتُ: هذا ما يقصده الإمام الخميني في مقالته .

قالوا: إن كان هذا ما قصده فنحن نستغفر الله من تكفيره.

قلتُ: بارك الله في مَن يرجع إلى الحقّ بعد ما تبيّن له وأزيدكم بأن الأنبياء والمرسلين كلّهم بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح لأمّته وعبد ربّه حتى أتاه اليقين، وإنّما دور الإمام المهدي المنتظر هو الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بأمر الله تعالى وليس بأمره فالله فعّال لما يُريد ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

فقام صاحب المكتبة (الأستاذ المبرّز) ليقول:

المهدي المنتظر هو «خرافة» شيعيّة ليس لها وجود عند أهل السنّة.

واستغربت من كلامه، هذا الأستاذ الذي يُوصف بالعلم والذكاء، كيف لا يعرف ولا يسمع بالإمام المهدي المنتظر، عجيبٌ والله أمره هل قال هذا عناداً وتعصّباً أم أنه يقول حقّاً وصدقاً، أي أنه يعتقد فعلاً بأن الإمام المهدي هو خرافةٌ شيعيّة؟!!

فقلتُ عندما رأيت سكوت الحاضرين كأنّهم يُوافقونه: إسمحو لي بربع ساعة فبيتي قريب سأتيكم بالأدلّة من صحاح أهل السنّة والجماعة.

فقال: ها هي مكتبتي أمامك وفيها كلّ الصحاح .

قلت: هل عندك كتاب الجمع بين الصحاح الستّة؟

فقال منادياً إبنه: «يا محيي الدّين» إئتني بكتاب الجمع بين الصّحاح الستّة، وما هي إلا دقائق حتى وُضعت بين يديّ ستّ مجلّدات تحمل كلّها العنوان المذكور وماهي إلا لحظات من البحث حتى أخرجتُ لهم خمسة أحاديث جمعت من مختلف صحاح السنّة كلّها تحكي عن الإمام المهدي المنتظر ولا بأس بذكر حديث أعجبني فقرأته بصوت عال على مسامعهم إذ يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يظهر المهدي من ولدي إسمه كإسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت جوراً وظلماً»[1].

وعلّق صاحب الجمع بين الصحاح قائلاً: ولم يُرو عن رسول الله صلى الله عليه وآله من أحاديث بمثل أحاديث المهدي، ولم يشكك في ذلك إلا ابن خلدون البربري وهو مؤرّخ وليس بمحُدّث!

قلت بعد ذلك هل عندك كتاب العقائد الإسلامية للسيّد سابق مفتي الإخوان في مصر؟ فقال: نعم وجاء ابنه محي الدّين بالكتاب فإذا به يقول: ومن العقائد الإسلامية التي لا شكّ فيها ظهور المهدي في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

---

(1) رواه أبو داوود والترمذي رقم 4282 وكذلك رقم 2231 للترمذي صحّحه الألباني حسن صحيح.

عند ذلك تكلّم أحد الحاضرين وهو شيخ ناهز الثمانين من عمره وقال : بصراحة أنا منذ نعومة أظفاري أسمع بالإمام المهدي. وقام عالم آخر يرتدي عمامة الجامعة الزيتونية فقبّلني بحرارة وقال أمام الحاضرين: أنا قدمتُ من العاصمة زائراً لمدينة قفصة وكنت أسمع عنك الكثير السلبي لأنّك شيعي وتبيّن لي اللّيلة بأنّك على خير كثير.

تعمدت أن أحكي هذه القصّة لتعلموا أن الكثير من علماء أهل السنّة وبالخصوص الأساتذة الذين تخرّجوا من الكليات والجامعات الحديثة أغلبهم لا يعرفون ولا يسمعون بأحاديث الرسولﷺ التي بشّرت بالمهدي ويعتقدون بالفعل أنّها خُرافاتٌ شيعيّة من ذلك أنه ومنذ أربع سنوات خلت خرج علينا أحد الدجّالين الذي لا يحسن اللغة العربية ولا يحفظ من القرآن شيئاً ومع ذلك إدّعى بأنّه المهدي المنتظر وراجت دعوته في الأوساط التونسية إلى درجة أنه دُعي في محطّة فضائية وجيءَ له بثلاثة من علماء الزيتونة ليختبروه ويفنّدوا إدّعاءه، وكانت الحصّة مفيدةً جداً لأن أغلب التونسيين الذين يجهلون وجود المهدي عرفوه من خلال ما استدلّ به أولئك العلماء الثلاثة من أحاديث صحيحة عندهم وتبيّن لهم بأن الإمام المهدي ليس هو خرافة شيعيّة وقلت وقتها الحمد لله الذي يُنطق

بالحقّ منصفاً وعنيداً وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم فلولا ادّعاء ذلك الكذّاب لما عرف جلّ التونسيون أحاديث المهدي.

بقيت مُلاحظة هامّة لابدّ من ذكرها وهي أن مدرسة أهل السنّة التي هي وليدة الجامعة الأولى للسقيفة لمّا أعيتهم الحِيلْ في ردّ هذا الحديث الصحيح والمتواتر والذي رواه عدد كبير من الصحابة الكرام ولم يقدروا على ردّه أو تكذيبه زادوا فيه فقرة ظاهرة الدسّ وهي (إسم أبيه كإسم أبي) ليكذّبوا بذلك الشيعة الأبرار الذين يعرفوه هو وأبوه وجدّه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو محمّد المهدي ابن الحسن العسكري وليس ابن عبدالله كما يزعمون.

وهكذا دَيدَنهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون ولم تردّ هذه الزيادة في روايات أهل البيت أبداً.

أمّا مدرسة السّقيفة التي تخرّج منها ما يُسمّى عندهم بدُهاة العرب فإن إبليس يتعلّم منهم فهم شياطين الإنس الذين ذكرهم القرآن بقوله تعالى: ﴿... **شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى**

بَعْض زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَـذَرْهُمْ وَمَـا يَفْتَرُونَ﴾[1].

وقد قال رسول الله ﷺ في حديث صحيح: «إيهاً يابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيّك الشيطان سالكاً فجّاً قطّ إلا سلك فجّاً غير فجّك»[2].

ويُعلّق صاحب شرح الجامع الصحيح بقوله:

وهذا الحديث الصحيح يـدلّ علـى أن الـشّياطين كانـت تخـافُ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي رواية أخرى هي أقبح من الأولى فلا أذكر منها إلا حديث الرسول ﷺ إذ قال: «إنّي لأنظرُ إلى شياطين الإنس والجنّ قد فرّوا من عمر» وصحّحه الألباني في صحيح الترمذي[3].

ففـي الروايـة الأولـى أن الـشيطان المعـرّف بـالألف والـلام هـو إبليس بعينه بدليل قوله تعـالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِـي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾...

---

(1) الأنعام، آية 112.

(2) صحيح البخاري رقم الحديث 3683.

(3) صحيح الترمذي، رقم الحديث 3690 .

فإذا كان إبليس يتمكّن من إغواء آدم عليه السلام حتّى عصى ربّه هذا اللّعين يخاف ويفرُّ من عمر بن الخطّاب ولا يفرّ ولا يخافُ من رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أن الرّواية تقول: أن النُسوة يضربن الدّفوف بحضرته وهنّ بدون حجاب ولاشكّ بأنهنّ يرقصن فلا معنى لِضرب الدّفوف بدون رقصٍ.

ولما دخل عمر إبتَدرْن إلى الحجاب ووضعن الدّفوف تحت أستهنّ فقال عمر: أتهبنني ولا تهبنَ رسول الله؟ فقلنَ: أنت أفظُّ وأغلظُ!!

وهو كما ترى من أفعال التفضيل وذلك يعني أن رسول الله صلى الله عليه وآله فظٌّ غليظٌ وعمر أفظُّ وأغلظ، وهو ردٌ صريح على قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[1].

والرّواية الثانية فتحكي أيضاً قصّة حبشية ترقص والصّبيان من حولها ورسول الله ينادي زوجته عائشة لتتفرّج معه على الرّاقصة ، فلما طلع عمر بن الخطاب إنفضّ النّاس عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(1) آل عمران، آية 159 .

إنّي لأنظر شياطين الجنّ والإنس قد فرّوا من عمر، قالت عائشة: فرجعت[1].

لقد بلغ ابن الخطّاب من القوّة ما جعل إبليس وكل شياطين الجنّ والإنس تهرب إذا رأوه في أي مكان سواء كان في بيت الرسول صلى الله عليه وآله أو في بطحاء اللّهو والرّقص: هل هناك استخفاف واستهزاء برسول الله صلى الله عليه وآله أكبر من هذا؟!!

ولنا أن نسأل عن هذه القوّة التي إمتاز بها عمر وكان من خصائصه من كلّ أبناء آدم بما فيهم الأنبياء والمرسلين الذين كانوا عرضةً لوساوس الشّياطين ...

وإذا كان الأنبياء والمرسلين أنفسهم تعتريهم وساوس الشّيطان كما جاء ذلك في الذكر الحكيم إذ يقول الله سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[2].

(1) أخرجه الترمذي في صحيحه ، ج2 ص294.
(2) الحج، آية 52.

ألم يرو علماء المسلمين ومُفسّريهم في كتبهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قرأ على المشركين سورة النّجم وبلغ إلى قوله: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**﴾ فتكلّم الشّيطان على لسانه وقال: «تلك هي الغرانيق العُلا وإنّ شفاعتهنّ لَتُرتَجى».

عند ذلك فرح المشركون وقالوا لقد إعترف محمّد بأن لآلهتنا الشفاعة يوم القيامة فنضلّ عليها عاكفين!!

وهرب جبرئيل عند ذلك وبقي أربعين يوماً لا يأتي محمّداً بالوحي وحزن محمّد لقول المشركين لقد ودّعه ربّه وقاله!!

ونزل بعد ذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿**وَالضُّحَى* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾[1].

وقالوا أيضاً أن سبب نزول آية:

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُول وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِه...**﴾ هي تسلية للنبي محمّدٍ ليعلم أن كلّ الأنبياء والمرسلين الذين سبقوه ، قد تكلّم الشّيطان على ألسنتهم، فلا يبتئس ولا يحزن على ما أصابه.

---

(1) الضحى، آية 3-1.

وإذا كان هذا حال الأنبياء والمرسلين جميعاً مع الشّيطان فإن عمر بن الخطّاب فاقهم جميعاً لأن الله سبحانه وتعالى أعطاه حصانة إلهية جعلت شياطن الجنّ والإنس كلّهم يفرّون لرؤية عمر!

ومن حقّ عمر أن يدّعي بأنّه أفضل من خلق الله جميعاً على الإطلاق وليس من حقّ أهل السنّة والجماعة أن يفضّلوا عليه أبا بكر فهم مجمعون قولاً واحداً على أن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو أبو بكر ثم عمر.

ولا يفوتنا أن نسجّل خطبة أبي بكر في المسلمين والتي اعترف فيها بأن له شيطاناً يعتريه من حين لآخر وقد جاء فيها:

«لقد ولّيت عليكم ولست بخيركم ـ وإنّ لي شيطاناً يعتريني ـ فإن إستقمت فأعينوني .. وإن زغتُ فقوّموني» وفي بعضها يقول أيضاً: إذا رأيتموني غضبتُ فاجتنبوني، لا أُثرُ في أشعاركم وأبشاركم»[1].

فكيف يكون الذي يعتريه الشيّطان ويستفزّه أفضل من الذي تهرب منه كلّ الشياطين؟ ما هذا إنصاف وعدلٌ يا أولي الألباب!!

(1) جاء ذلك في عدّة مصادر من كتب السنّة ، منها طبقات ابن سعد، والإمامة والسياسة لابن قتيبة، تاريخ الطبري ج 3 ، ص 210 .

وكيف يسكتُ عمر عن شيطان صاحبه فلا يجزره ولا يقتله ويريح صاحبه منه؟ إنّها ألغازٌ يصعبُ حَلّها.

ولكن حلّها سهلٌ بالنسبة إلينا وهو تكذيب كلّ هذه الخزعبلات التي وضعتها مدرسة السّقيفة الإنقلابيّة والتي رأت في عمر بن الخطّاب الشّخصية النموذجية في شدّته وغلظته وفظاظته ودهائه ، فوضعوا كلّ هذه الرّوايات لمدحه حسب زعمهم.

الأحاديث التي وردت في الصحّاح
لمدح عمر بن الخطّاب يُمكن تأويلها

لم يبقّ أمامنا إذا صدّقنا بصحّة هذه الأحاديث إلا تأويلها لما يتماشى مع أخلاق وهويّة هذا الرجل.

ولعلّ رسول الله صلى الله عليه وآله بما أوتي من الحكمة والأخلاق العظيمة أراد أن يُشير من طرف خفي على خطورته ودهائه وأنه السبب الرئيسي في ضلال الأمّة الإسلامية بل وإبقاء سكّان الأرض كلّهم على ضلالتهم لعدم وصول نور الهداية إليهم.

نعم هذا ليس مُستحيلاً ويؤيّده موقفه الشّنيع في رزية يوم الخميس عندما وقف بكل جُرأة وصلافة ليتّهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالهجر والهذيان ويمنعه من كتابة الكتاب الذي كان سيعصم الأمّة من الضّلالة حسب ما صرّح به من لا ينطق عن الهوى.

وهذه الأحاديث تُفيد بأن إبليس وكلّ الشّياطين من الجنّ والإنس ما كانوا لينجحوا في تحريف مليارات من البشر عن الحقّ كما نجح هو، ومن شدّة مكره ودهائه نراه يطعن في تأمير الرسول

لأسامة بن زيد وتعطيل الجيش ، ثم نراه بعد ذلك يقف ويُقسِم بأيمان غليظة بأنّ محمّداً لم يَمُتْ وإنّما ذهب يُناجي ربّه كما فعل موسى وسيعود ليقطع رؤوس قوم أرجفوا بموته ، وهو يعلم علم اليقين بأنّ محمّداً قد مات، وهو قبل يومين أو ثلاثة فقط كان يقول للحاضرين من الصّحابة بأن محمّد يهجرُ وعندكم القرآن وحسبنا كتاب الله يكفينا!!

فوقوفه بباب البيت شاهراً سيفه مهدّداً النّاس بقتل كلّ من يدّعي موت النّبي ومنعهم من الدّخول إلى بيت النبي هي مسرحية برع في تمثيلها وأدّاها حقّ أدائها إلى حين وصول صاحبه والمتآمرين معه ليسقط بعد ذلك مغشياً عليه من شدّة الصّدمة التي أصابته.

وبعد دقائق قليلة نجده قد استعاد قوّته وشدّته ليصبح بطل السّقيفة فيهدّد سيّد الأنصار بالقتل ويُشيّد البيعة لصاحبه مُقصيّاً بذلك خليفة الرسول الشرعي.

ثم نجده بعد سُويعات يهجم على بيت الزهراء ويهدّد بحرقه بمن فيه ولو كانت فاطمة بنت المصطفى صلى الله عليه وآله.

وليس بإمكان شياطين الإنس والجنّ أن يفعلوا كلّ ذلك بمجموعهم وقد فعله هو بمفرده.

هذا الإستنتاج ليس ممنوعاً ولا مُستحيلاً، وقد لا يعجب أكثر النّاس وقد يكفّرني بعضهم، ولكن عزائي أنّي أقول هذا دفاعاً عن حبيب الله المصطفى ولو كان ذمّاً لصحبه أحقّ عندي من مدح صحابي على حساب رسول اللهﷺ، وإذا كان هو السبب الأوّل في وصولهم إلى سِدّة الخلافة بعدما كانوا في الحضيض خاسئين أذلاء وغفلوا أو تغافلوا على أنّ رواياتهم التي تُمجّد عمر ابن الخطّاب هي تقدح وتحطّ من شخصية النّبي محمّدﷺ.

وما حيلتنا مع هؤلاء العُميان المتعصّبين الذين يرون في عمر بن الخطّاب ما لا يرونه في رسول اللهﷺ ولذلك نجد جلّ الرّوايات التي وضعوها في تقديمه على النّبيﷺ لا تخلو من خللٍ أو مطبٍّ واضحٍ حتى أن الله جلّ في عُلاه، إذ ما أختلف النّبي مع عمر تراه يُنزّل قرأنا مؤيّداً لعمر ومخالفاً للرّسول الذي بعثه ليُعلّم النّاس ما لا يعلمون:

﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

(1) الجمعة، آية 2.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمَهُمُ الْكِتَـبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

ويروون بعد هذا كلّه أنّ عمر ابن الخطّاب وافق ربّه في عشر مسائل إختلف فيها مع النبي صلى الله عليه وآله.

كبُرت كلمةٌ تخرجُ من أفواههم لن يقولون إلا كذباً، ألا لعنة الله على الكاذبين؛ ألا لعنة الله على أعداء رسول الله وأعداء أهل البيت والظالمين لهم جميعاً.

(1) آل عمران، آية 164.

لماذا أخفى الإمام الحسن العسكري ولادة إبنه

سؤالٌ يُطرح في كل ما أردنا الحديث عن ولادة الإمام الثاني عشر محمّد المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فيُقال: هل يُعقل أن إماماً بهذا الحجم وهذا الدّور المنوط بذمّته تكون ولادته سرّيةً لهذا الحد إلى درجة إنكار أخوه جعفر بأنّ أخاه عقيم وليس له عقب ممّا حدى ببعض المنكرين لوجوده عجل الله تعالى فرجه الشريف أن يستدلّوا بقول عمّه هذا ويتّخذوه حجّة على إنكار مولده ليثبتوا بذلك قول أهل السنّة ومدرسة السّقيفة بأنّه سيُولد في آخر الزّمان، ويكذّبوا بذلك معتقدات الشّيعة في عدد الأئمّة وفي وجوده وفي غيبته الصّغرى وغيبته الكبرى وإنّه إمام الزّمان فلا يخلو الزمان من وجود الإمام كما جاء ذلك في الأحاديث النبويّة المُتعدّدة ويؤيّد قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1].

وبما أنّ مدرسة السّقيفة تآمرت على أهل بيت النّبي صلى الله عليه وآله كما قدّمنا في الأبحاث السّابقة وبما أنّ ملوك بني أميّة وكذلك ملوك

(1) الرعد، آية 7.

بني العبّاس عملوا على قتلهم وطمس حقيقتهم فأصبح الأئمّة خائفين يترقّبون القتل في كلّ لحظة من حياتهم ولا يطمئنّون حتى لأقرب النّاس إليهم كما هي حال العراقيّين في عهد الطّاغية صدام المقبور فالرجل أصبح لا يثق في زوجته وأولاده.

ولا ننسى الرّقابة المُستمرة في ذلك العهد المظلم والعيون التي بثّتها الدّولة العبّاسية لرصد تحرّكات الأئمّة بل رصد ومراقبة كلّ من يلوذ ويتّصل بهم، خوفاً أن يميل إليهم النّاس فتتكوّن منهم معارضة لا يأمنون عواقبها فتراهم دائماً يحاولون بمكرهم ودهائهم أن يُقرّبوا الإمام ويتوّجوه بولاية العهد أمام عيون النّاس الموالين لهم ثم يقوموا باغتيالهم سِرّاً إما بالسمّ أو بالسّيف، وهذا أصبح معروف عند العموم.

لكلّ ذلك أصبح الإمام الحسن العسكري خائفاً على نفسه وعلى ولده من القتل؛ لأنّه علم من خلال القرآن الكريم ومن خلال جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ المُستهدف هو آخر الأئمّة وخاتمهم محمّد المهدي عليه السلام.

قصّة المهدي عليه السلام تشبه قصّة موسى عليه السلام

عرفنا من كتاب الله سبحانه وتعالى قصّة نبي الله موسى عليه السلام والأجواء التي كانت سائدة في زمن كان فرعون يعتقد بما أتاه الله سبحانه من سلطان ومال ونفوذ، بأنّه ملك الأرض ومَن عليها، فقال: أنا ربّكم الأعلى.

قال المنجّمون لفرعون بأن رجلاً من بني إسرائيل سيُولد ويُقوّض كلّ سلطانك ومملكتك! تساءل فرعون: «أيمكن أن يولد من هؤلاء الذين إستعبدهم وأذلّهم مَن يهدّد ملكه وسلطانه؟

وقرّر فرعون قراره الذي سجّله القرآن بأنّ يقتل كلّ مولود من الذكور فجعل جنوده يحرسون كل إمرأة حُبلي في بني إسرائيل حتى تضع حملها فإذا وضعته ذكراً ذُبح في حجر أمّه وإن كانت أُنثى وهبوا لها الحياة.

وفي ذلك يقول القرآن الكريم مخاطباً بني إسرائيل:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِه اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذلِكُم بَلاَءٌ مِن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

وشاءت الأقدار أن يُولد ذلك المولود في السرّية المطلقة ونتسائل كيف خَفِيَ أمر ولادة أمّ موسى عن الجنود والمراقبين وكيف نجا ولدها من الذّبح وتحدّى بذلك قرار فرعون؟!!

والقرآن لم يحدّثنا على كلّ ذلك ولنا أن نتصوّر بأن الحمل لم يكن ظاهراً على بطنها حتّى في الشهر الأخير، لذلك أهمل الجنود مُراقبتها، فلو كان الحمل ظاهراً لما خفيت عن الحراسة المشدّدة التي وضعها فرعون على كلّ نساء بني إسرائيل.

وهذا ليس أمراً مُستحيلاً لأنه سبحانه على كلّ شيء قدير وهو عينُ ما ترويه بعض النّساء اللاتي عاشرنَ السيّدة نرجس أمّ المهدي عليه السلام، فقد قلنَ لم نرَ أثر الحمل عليها والدّليل على ذلك أن أقرب النّاس للإمام العسكري أخوه جعفر لم يُلاحظ أي علامة للحمل لزوجة أخيه فحكم بأنّ أخاه الحسن كان عقيماً.

---

(1) إبراهيم، آية 6.

وقد شاءت حكمة الله سبحانه أن تحوط السرّية المطلقة بمولد موسى عليه السلام كما أوحى لأمّه أن تُلقيه في النّهر، ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[1].

(1) القصص، آية 7.

أخطر حديث على الدّولة هو حديث المهدي

قال صلى الله عليه وآله:

«لو لم يبقَ من الدّنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يُظهر المهدي من ولدي إسمه كإسمي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت جوراً وظلما»[1].

وهذا معناه أنّ هذا الذي سيظهر مُستقبلاً سيُقوّض كيان الدّولة الموجودة في عهده لأنّه لا يمكن أن يملأ الأرض بالقسط والعدل إلا إذا كان هو الحاكم الفعلي وله من القوّة والنفوذ ما يمكّنه من تحقيق ذلك.

والدّولة العبّاسية في ذلك العهد تعرف هذا الحديث وتعلم علم اليقين بأن سلسلة الأئمّة محدودة بإثني عشر إمام لا يزيدون ولا ينقصون، وهي دائبة على عدّ أنفاسهم فلا يفوتها بأن الإمام الخاتم هو بالتأكيد سيكون خليفة أبيه الحادي عشر وهو المعروف بالحسن

(1) كتاب الجمع بين الصحاح السّتّة.

العسكري الذي يسكن في سامرّاء فستكون الرقابة حول بيته مستمرّة ليلاً ونهاراً!

وسيكون الإمام العسكري مُحتاطاً أشد الإحتياط وسيُخفي مولوده على كلّ الناس حتّى المُقربين وستكون العناية الإلهيّة داعمة لكلّ حركاته وسكناته.

ولُد الإمام المنتظر في الخامس عشر من شهر شعبان وهي ليلة القدر على بعض الأقوال التي يفرق فيها كلّ أمرٍ حكيم، قال الله عزّوجلّ في ذلك:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْراً مِنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ* رَحْمَةً مِن رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

بالتأكيد أنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سيكون كجدّه رحمة للعالمين فإذا كان محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين وقد عرف النّاس ما قدّمه ذاك النّبي للمجتمع البشري في تلك الفترة القصيرة من عمر الدنيا.

فإن إمتداد تلك الرحمة ستبقى متواصلة حتّى يأتي من سَينشرها في ربوع هذا الكون بأسره حتّى تمتلأ الأرض كلُّها بالقسط والعدل

(1) الدخان، آية 3 – 6.

فتعُمُّ رحمة الله الواسعة على كلّ فردٍ من أفراد المجتمع ولا تبقى دابّة في الأرض تشكوا من الظلم والجور أبداً.

وإذا كان نبيُّ الإسلامﷺ قد بعثه الله تعالى لينذر قوماً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون.

فإنّ مُهمّة الإمام المهدي سيُظهره الله تعالى لينذرَ كلّ سُكّان الأرض ليُسلمُوا جميعاً لله الواحد القهّار ولا يبقى ديّارٌ واحدٌ يُشرك بالله شيئاً لتُشرق الأرض بنور ربّها ويتحقّق بذلك قوله سبحانه وتعالى عندما إعترض الملائكة على خلق الإنسان بقولهم:

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

نعم، لقد أحاط علمُه سبحانه بكلّ شيء فلا يعزبُ عن علمه مثقالُ ذرّة في الأرض ولا في السّماء وهو السّميع العليم؛ علم الله سبحانه بانقلاب الأمّة بعد نبيّها فقال:

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.

عَلِمَ بمؤامرة المُنافقين وتخطيطهم وما يَرُومون؛ عَلِمَ بما سيؤول إليه أمر الأمّة المحمّدية التي سيتملّكها الفسّاق والفجّار والمنافقون

(1) البقرة، آية 30.

ولكن سيمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين لتكون النّتيجة في النّهاية إنتصار المؤمنين بقيادة أهل بيت محمّدٍ صلى الله عليه وآله ولو كره المشركون.

أوّل ظهور للإمام المهدي عليه السلام

بَقي المولود السرّي يكبرُ ويترعرع في أحضان والديه بعناية ربّانية فائقة حتّى أدركت المنيّة أباه الإمام أبو محمّد الحسن العسكري إلى ذمّة الله تعالى وبعد تغسيله وتكفينه سُجّيَ لصلاة الجنازة وتقدّم أخوه جعفر للصّلاة عليه.

في تلك اللّحظة تقدّم شابٌ يتلألأ وجهه بنور الله كالقمر يُناهز عمره ستّ سنواتٍ ليقول لعمّه جعفر: تنحّى يا عمّ أنا أولى بالصّلاة على أبي منك!!

وعرفَ الحاضرون وكانوا من شيعة الأئمّة، عرفوا وقتها إمامهم الموعود.

أنكر جعفر العمُّ إبن أخيه وادّعى أنّه وارث الإمامة بعد الإمام الحسن وكذبَهُ الإمام الحجّة في ادّعائه فسُمّي بجعفر الكذّاب[1].

---

(1) هذا ما يعرف بالحقّ عند شيعة علي بن أبي طالب، عندهم جعفر الصّادق هو الإمام السّادس وعندهم جعفر الكذّاب ولو كان ابن إمام وأخو إمام.

ودار حوارٌ بين الإمام الحجّة وعمّه جعفر الذي لم يقتنع بما طرحه إبن أخيه وبقيَ مُصرّاً على عناده إقترح عليه الإمام اللّجوء للمُباهلة وأوجَسَ العمُّ خيفةً منها لأنها تعني نزول غضب الله ولعنته على الكاذبين وهو يعلم في قرارة نفسه أنّه منهم لكنّ الإمام الذي مُلأ قلبه رأفةً ورحمةً للعالمين فهو بعمّه أرْأفُ وأرحمُ بل يُريد لعمّه الهداية والتّوفيق لمرضاته سبحانه وتعالى.

فاقترح على عمّه اللّجوء إلى الله عزّ وجلّ الذي لا تخفى عليه خافية ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور.

قال جعفر لابن أخيه: وكيف اللّجوء إليه؟

فقال الإمام موعدي معك في بيت الله الحرام بمكّة في الموسم القادم للحجّ وستعرف وقتها كيف اللّجوء إليه سبحانه وتعالى!

وقَبِل العمّ هذا التحدّي من ابن أخيه الذي ما زال مُنكراً له مُدّعياً الإمامة لشخصه.

وجاء الموعد والتقى الإمام بعمّه عند بيت الله الحرام في يوم الحجّ الأكبر وناهز عمر الإمام وقتها سنّ العاشرة تقريباً.

سلّم الإمام على عمّه في أدبٍ واحترام فخلُقُه نفس خلق الرّسول جدّه صلى الله عليه وآله.

في جمع من الحجيج الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصّبر ما ستؤول إليه هذه المناظرة ومن هو الإمام الصّادق منهما؟

قال الإمام الحجّة لعمّه:

يا عمّ هذا بيت الله الحرام أمامك بابه مُغلقٌ ومفتاحهُ بيد الحاكم، فإن كُنت الإمام بحقّ فاتلُ إسمك وحسبك ونَسبك وتوسّل إليه سبحانه ليفتح لك بابُ بيته وعند ذلك سأكون من خدّامك وأتباعك بشهادة كلّ الحاضرين.

كان الإمام على صغر سنّه يتكلّم بالعربية الفُصحى والعلمُ والحكمة بين شفتيه وكأنه أستاذٌ يدرّس تلاميذه، إنّه تحدّي خطير أمام الحاضرين، أوقع العمّ جعفر في حَيرةٍ من أمره.

أيَرفُضُ العمُّ إقتراح ابن أخيه فيسقط إدّعاؤه الإمامة أمام الحاضرين.

أم يقبل هذا التحدّي فتكون مُغامرةً يُغامرها علّها تكون في صالحه فيكسب من وراءها نصراً مُبيناً ...

صاح بعض الحاضرين مُتلهّفين : تقدّم يا جعفر وأرنا دليلُ الإمامة والكرامة!

أخيراً تقدّم جعفر بكل شجاعة ورَباطة جأش ووضع يده على باب البيت قائلاً:

«أنا جعفر ابن الإمام علي الهاي، ابن الإمام محمّد الجواد، إبن الإمام علي الرّضا، ابن الإمام موسى الكاظم، إبن الإمام جعفر الصّادق، إبن الإمام محمّد الباقر، إبن الإمام علي زينُ العابدين، إبن الإمام الحسين الشّهيد، إبن الإمام علي ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

بقِيّ الباب على حاله مُغلقاً وبقي جعفر يعيدُ طرق الباب بين لحظة وأخرى حتّى يئس ويئس معه مَن كان يعتقد في إمامته وصِدْقه.

تقدّم الفتى فإزداد نور وجهه ضياءً وما أن وضع يده على الباب حتّى فُتح الباب من قبل أن يُعلن إسمه وحسبه ونسبه.

فانْهال النّاس من كلّ جانب عليه يُقبّلون رأسه ويديه ورجليه وصاح بعضهم: هذا إمامكم يا شيعة فبايعوه على الولاء والنّصرة كي لا تموتوا ميتة جاهلية، وكثر الناس من حوله حتّى خيف عليه من كثرة الزّحام يُبايعونه ويسلّمون عليه وكلّهم يقول: هذا الإمام الحقّ إنه شبيه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وشاع الخبر وانتشر بسرعة فائقة ووصل خبره إلى قصر الإمارة إلى المعتمد الخليفة العبّاسي فأمر بالقبض عليه فوراً وإحضاره بين يديه وانتشر الجنود والمُخبرين وحرّاس الدّولة يبحثون عنه في كلّ

مكان فلم يعثروا عليه وباءت كلّ أبحاثهم بالفشل الذّريع، حتّى أصبح أعوان الحكومة يشيعون في النّاس أنّ دعاية ظهور الإمام الثاني عشر في مكّة لا أساس لها من الصّحة، وبأمرٍ من الخليفة المعتمد أشاعوا في النّاس بأنّ المهدي المنتظر الذي بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله سيظهر في آخر الزّمان، وهي الفكرة التي بقيت سائدة إلى يومنا هذا!

ومدرسة السّقيفة لازالت تُنكر مولده وحياته الطويلة في غيبته الصغرى وغيبته الكبرى وتعمل جاهدة على إقناع النّاس بأنّ المهدي خرافةٌ شيعيّة يحلم بها الشّيعة لكثرة ما لاقوه من ظلمٍ واضطهادٍ عبر التاريخ فهم يحلمون بأن الله سيبعث لهم منقذاً ينقذهم كما بعث موسى لإنقاذ بني إسرائيل من ظلم واضطهاد الفراعنة وحتّى المنصفين منهم الذين ثبت عندهم صحّة الحديث المتعلّق بالإمام المهدي حتّى هؤلاء تعلّموا من مدرسة السّقيفة بأنّه سيُولد في آخر الزّمان، وآخر الزّمان هو توقيت نسبيّ لا يعلم أحدٌ متى بدايته.

كلّ ذلك لأن مدرسة السّقيفة وأساتذتها يبغضون أهل البيت ويُعادونهم حتّى وصل الأمر بهم إلى سبّ ولعن إمام المتّقين وسيّد

الوصيّين وقائد الغرّ المحجلين وخليفة رسول ربّ العالمين أمير المؤمنين أسدُ الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام.

فلا تسأل بعد ذلك عن شيعته وأتباعه ومواليه الذين باعوا دُنياهم واشتروا نعيم الآخرة بحبّهم ومودّتهم وولاءهم له ولأولاده الأئمّة الطاهرين.

أمّا الإمام سلام الله عليه وعجّل الله تعالى فرجه فبقيَ مخفيّاً بعناية ربّانية وحكمةٍ إلهية بالغة لا يتّصل بالنّاس إلا من خلال وسيطٍ بينه وبينهم، والوسيط الذي سُمّي بالسّفير هو من خيرة العباد الذي يعمل بتقوى الله ، واختيار الإمام له دليلٌ على صدقه وإخلاصه وزُهده وثقته وأمانته فكان السّفير أيضاً يعمل بالسرّية فيتّصل بالإمام ليوصل إليه مسائل شيعته ومواليه في أمورٍ عديدة تخصّ الفقه الإسلامي من عباداتٍ ومُعاملات فيما سُمّي بالمسائل الشّرعية والتكليف الشّرعي.

كما يحمل إليه أموال الزّكاة والخمس الذي فرضها الله على عباده المسلمين ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾.

فيُجيب الإمام على كلّ المسائل كتابةً كما يُوزّع الحقوق والأموال على المستحقّين لها بواسطة السّفير.

الغيبةُ الصّغرى والسّفراء الأربعة

ولقائلٍ أن يقول: إذا كان الإمام هو صنيعة الله سبحانه فكيف يَخاف القتل من النّاس فيختفي عنهم ولا يتّصل بهم؟!!

وقد سبق الجواب في ما سبق من صفحات هذا الكتاب.

نُضيف هنا بأنّه سبحانه وتعالى إقتضت حكمته أن يترك للنّاس حرّية الإختيار بعد أن ألهم النّفس فجورها وتقواها فأفلح من زكّاها وخاب من دسّاها ليحاسبهم يوم القيامة على إختيارهم فإن كان الإختيار خيراً فجزاؤه جنّة النعيم وإن كان الإختيار شرّاً فجزاؤه جهنّم وبئس المصير.

فإن اليدين اللّتين خلقهما الله في جسم الإنسان فأعطاه القدرة على أن يُنقذ بهما نفسٌ من الموت كما أعطاه القدرة على أن ينقل بهما نفسٌ إلى الموت وقد أمره بإحياء النّفس ونهاه عن قتلها وقال:

«من أحيا نفساً كأنّما أحيا النّاس جميعاً ومن قتلها فكأنّما قتل النّاس جميعا».

وعلى هذا الأساس فإن أكثر النّاس تأخذهم الأنانية وحبّ الذّات على الإنتقام من غيرهم إمّا بغضاً وحسداً أو إستعلاءً وتسلّطاً وهذا هو هوى النّفس الأمّارة بالسّوء إلا ما رحم ربّك.

وبما أنّ القرآن يحكي لنا قصص الأنبياء والمرسلين الذين كذّبوا وقُتلوا ظلماً وعدواناً ولم يتدخل الله لإنقاذهم كما هو معلوم.

النّاس يفسدون في الأرض ويسفكون الدّماء والله سبحانه يمهلُ ولا يهملُ فكلّما مات رسولٌ أو قتل إلا ويبعث الله سبحانه وتعالى في النّاس رسولاً من بعده ليكون بشيراً ونذيراً ومُخرجاً للنّاس من الظّلمات إلى النّور بإذن ربّهم إلى صراطه المستقيم وتواصل ذلك من عهد آدم عليه السلام إلى عهد محمّد ابن عبدالله عليه وآله أفضل الصّلاة وأزكى السّلام.

تواصل عهد الأئمّة الميامين بعد محمّد صلى الله عليه وآله وكلّما قُتل إمامٌ جاء من بعده إمامٌ حتّى وصل الأمر إلى خاتم الأئمّة وهو المهدي المنتظر عليه السلام؛ ولو قُتل هذا الأخير في ذلك الزّمان لما تحقّق وعد الله الذي قدّمنا في أوّل البحث وهو ظهور الدّين الإسلامي على الدين كلّه ولو كره المشركون، ولم تتحقّق نبوءة الرّسول صلى الله عليه وآله في قوله بأنّ الأرض ستملأ قسطاً وعدلاً بعدما مُلأت جوراً وظلماً بظهور

ولده وحامل عقيدته ليعود بالنّاس إلى الدّين المحمّدي الأصيل ويمحو آثار السّقيفة بجورها وظلمها.

لكلّ ذلك إقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يُغيّب الإمام عن أنظار النّاس فيراهم من حيث لا يرونه ويعرفهم من حيث لا يعرفونه ويعيش ويموتون فيكون عمره مثل نبيّ الله نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين، ونحن نعد اليوم عمر الإمام ما يقربُ من ألف سنة ومائتي عام والله وحده يعلم متى سيكون الفرج لتنعم البشرية كلّها بظهوره ولا يبقى في الأرض بعد ظهوره إلاّ المؤمنين.

السّفراء الأربعة الذين إختارهم الإمام عليه السلام

على التّوالي ، هم:

ـ **السّفير الأوّل**: هو عثمان بن سعيد العمري الملقّب بالسمّان، هو عالم جليل ومن الثّقات، كلّفه الإمام بتجارة السّمن، تغطية على جمع المال وإيصاله لأهله.

ـ **السّفير الثاني**: هو ابن السّفير الأوّل.

إسمه محمّد بن عثمان العمري وهو كأبيه من العلماء الموثوقين فخلف والده في كلّ أعماله وكان الإمام يثني عليه وعلى أبيه في رسائل كان يكتب بها إلى خلّص شيعته وتواصلت سفارته أربعين سنة تقريباً.

ـ **السّفير الثالث**: وهو الحسين بن رُوح وكنيته أبو القاسم الحسين بن روح النّوبختي كان من المعتمدين والمقرّبين من السّفير الثاني محمّد العمري وقد إستغرقت مدّة سفارته إحدى وعشرين سنة.

ـ **السّفير الرابع**: هو أبو الحسن علي بن محمّد السُمّري هو أيضاً من فضلاء الشّيعة وقد نصّبه النائب الثالث بأمر الإمام المهدي ودامت سفارته ثلاث سنوات فقط.

ودامت النيابات الأربعة من 260 للهجرة إلى سنة329 للهجرة فيكون مدّة السّفارة في الغيبة الصّغرى 70 عاماً تقريباً.

ثم بدأت الغيبة الكبرى من سنة329 ولم يعرف لها نهاية حتّى الآن، فإذا انتهت هذه الغيبة ظهر الإمام.

ولا نغفل وصيّته سلام الله عليه لسفيره الرّابع قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمّد السمري إسمع: أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميتٌ ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توصي لأحد ليقوم مقامك بعد وفاتك، فقد بدأت الغيبة التّامّة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى وذلك بعد طول الأمد، وقسّوة القُلوب وامتلاء الأرض ظلماً وجوراً، وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا مَن إدّعى المشاهدة قبل خروج السّفياني والصيحة فهو كذّابٌ مفتري، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم».

أمّا الوصية للشّيعة عامّة فقد جاء فيها:

«وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا بها إلى رواة حديثنا فإنهم حُجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم، وأمّا المتلبسون بأموالنا فمن إستحلّ منها شيئاً فأكله فإنما يأكل النّيران.

وأمّا وجه الإنتفاع بي في غيبتي فهو كالإنتفاع بالشّمس إذا غيّبها السّحاب عن الأبصار، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السّماء.

فاغلقوا باب السّؤال عمّا لا يغنيكم ولا تكلّفوا علم ما قد كُفيتم ، وأكثروا الدّعاء بتعجيل الفرج ، فإنّ في ذلك فرجكم.

عصمنا الله وإيّاكم من المهالك والأسواء والعاهات كلّها برحمته فإنّه وليّ ذلك والقادر على ما يشاء وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً والسّلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين ورحمة الله وبركاته وصلّى الله على محمّد النبي وآله وسلّم تسليماً.

اللهمّ كُن لوليّك الحجّة ابن الحسن

صلواتُك عليه وعلى آبائه في هذه السّاعة

وفي كلّ ساعة وليّاً وحافظاً ودليلاً وعيناً

حتّى تسكنه أرضك طوعاً وتمتّعه فيها طويلاً

واجعلنا من أنصاره وأعوانه

وهب لنا رأفته ورحمته ودعاؤه وخيره

آمين ربّ العالمين

إعتراضاتٌ وشكوكٌ في غير محلّها

نعم، يعترضُ كثيرٌ من المعاندين والمشكّكين من أتباع السّقيفة على وجود الإمام المهدي حيّاً يُرزق طوال هذه المدّة وهي ألف ومائتين سنة.

إنّه أمرٌ مستحيلٌ بالنّسبة إليهم وعقولهم قاصرة على إدراك ذلك خصوصاً لما نقول لهم بأنّه سلام الله عليه يعيش في الأرض بيننا!!

وسأحاول في عُجالة بسط الموضوع لأقرّب لأذهانهم وعقولهم إمكانية ما استحالوه.

عَلِمنا في ما سبق من أبحاث أنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قد غاب غيبة صغرى لمدة سبعين عاماً ولكنّه لم يغب خلالها عن أربعة أشخاص لذلك سمّيت غيبة صُغرى لإن مُدّتها قصيرة أوّلاً، وأمّا ثانياً لأنّ هناك مَن يتّصل به ويراه من البشر.

فدلّ ذلك على أنّه موجودٌ في مكان مَا مجهولاً من سائر النّاس، معلوماً فقط من أربعة أشخاص.

وفي ذلك حكمةٌ لأنه بعد مُضي سبعين عاماً إنقرض جيلٌ كاملٌ من معاصريه الذين لم يَروْهُ ولم يعرفوه .

فالجيل الذي جاء من بعده هو عن معرفته أبعد وأجهل فلو فرضنا أنّه خرج من مخبئه الذي كان يعيش فيه وخالط النّاس فلا يمكن لأحدٍ تشخيصه ومعرفته.

بعد وفاة السّفير الرّابع وبداية الغيبة الكبرى أصبح الإمام يعيش بين النّاس في أمنٍ وأمانٍ إذ لا يعرفه أحدٌ منهم حتّى يخبر عنه أو يؤذيه.

ولعلّ ذلك هو التّفسير المنطقي لقوله : إنهم ينتفعون به كما يُنتفع بالشّمس إذا حجبها السّحاب.

ويبقى الإعتراض منهم على طول مدّة العُمر مع بقاء الجسد في عزّ شبابه.

لو كان هذا الإعتراض من مُلحدٍ ما تعجبنا منه ، ولكن أن يكون من مسلمٍ يدّعي الإيمان بالقرآن فهو أمرٌ عجابٌ.

لقد بيّن لنا القرآن الكريم في هذا الخصوص بياناً شافياً وكافياً حتّى لا يراودنا شكٌّ في قدرته سبحانه وتعالى في أنّ كل المخلوقات خاضعة لمشيئته والكون كلّه يسبّحُ بحمده من المجرّة إلى الذرّة.

قال تعالى في عُزير الذي شكَّ في البعث والنّشور:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَة وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِيْ هذه اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِأْئَةَ عَام ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْم قَالَ بَل لَبِثْتَ مِأْئَةَ عَام فَانْظُرْ إِلَى طَعَامَكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

تُوفّي عزير وبقي مائة عام وهو ميّتٌ والمفروض أنّ الميّت يُصبح بعد أيّامٍ جيفةٌ نَتنة ولكن مشيئة الله سبحانه حفظته من كل العوامل الطبيعية التي نعرفها وبقي مائة عام على شبابه لم تهرم خلاياه ولا إعتراه المشيبُ بل أن طعامه وشرابه بقي كما هو.

ثم أراه الله عمليّة البعث والنُشور في حماره الذي رأى عظامه النّخرة المتفككة كيف إجتمعت وكسيت باللّحم والشعر وقام الحمار ينهقُ وكأنه ما غاب لحظة فسبحان الله، فلما تبيّن له تراجع عما أنكره وقال أعلم أنّ الله على كل شيء قدير.

(1) البقرة، آية 259.

وقصّة أصحاب الكهف هي أكبر من قصّة عُزير الذي مات مائة عام، فالفتية الذين أووا إلى الكهف لبثوا في نومتهم ثلاثمائة سنين وازْدادوا تسعاً وكذلك كلبهم، ويكفي أن نعرف من الإثبات العلمي بأنّ الكلب لا يعيش أكثر من خمسة عشر عامّاً، فكيف عاش كلبُهم ثلاثمائة سنين وتسعة ولم يتغيّر.

هذه قدرة الله التي ذكرتْ في القرآن الكريم ولعلّ الله سبحانه أعطانا هذه الأمثلة كأدلّة على قدرته أوّلاً ثم كي لا نستغرب من بقاء الإمام الموعود طيلة هذه المدّة شاباً كما هو ثانياً.

وعلى كلّ حال فإنّ إعتراض هؤلاء المعاندين ليس له أي دليل علمي خصوصاً إذا علمنا وآمنّا بأنّ إبليس اللّعين مخلوق قبل آدم عليه السلام وأنه حيٌّ يرزق في هذا الكون يعيش بين النّاس ويعمل جاهداً على إغوائهم وإضلالهم إلى قيام السّاعة وأقلّ ما يُقال في عمره آلاف السنين.

أضف إلى ذلك بأن أغلب المسلمين يعتقدون بأن نبيّ الله الخضر عليه السلام حيٌّ يرزق من عهد موسى وإلى يوم القيامة.

ماهي الحكمة من طول العمر

والحياة بدون مرض

يقول المثل الشّائع عند العرب:

«أكبر منك بليلة أكثر منك حيلة» ، وهـو يعنـي أن الكبيـر يـزداد تجربة وخبرة ومعرفة كلّ ما تقدّم في السنّ وهذا أمرٌ طبيعـيٌ يعرفـه كلّ الناس ولا يتطلّب مزيداً من البيان.

فبالإضافة إلى العلم اللّدني الذي هو من خـصائص الإمـام «فمـا إتّخذ الله من وليٌّ إلا علَّمه».

فإن الإمام ببقائه حيّاً مع النّـاس بمختلـف طبقـاتهم ومـستوياتهم العلميـة وتنـاوب أجيـالهم وتغيّـر أزمـانهم فإنّـه سـيعيش آلامهـم وآمالهم وأفراحهم وأحـزانهم سيحـضر أعراسـهم ويُـشيّع جنـائزهم وسيغْدق عليهم من رأفته ورحمته ودعواته وبركاته الشيء الكثير.

أضف إلى ذلك العناية الإلهية التي تحوطه من كلّ جانب أينما حلّ وارتحل تُصاحبه رحمة الله الواسعة وغفرانه لسكّان المكان الذي ينزل فيه فهو وريث جدّه صلى الله عليه وآله في قول الله سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ صدق الله العليّ العظيم.

السيّد محمّد باقر الصّدر ورأيه في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

عند لقائي بالسيّد محمّد باقر الصّدر وأنا سُنّي من أتباع مدرسة السّقيفة[1] لازالت عقيدتي مُتناقضة وكثير من المعلومات التي كنت أفخر بها تبيّن زيفُ أكثرها وقد جلست إليه مُتعصّباً ومُعانداً، وكانت إعتراضاتي عليه كثيرة ذكرت بعضها في كتابي الأوّل «ثم اهتديت».

وأنقل هنا سؤالي له عن الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قلتُ: إنّ بعض المشائخ من الصوفية عندنا يقولون عن المهدي هو صاحب الزمان سيولُد في آخر الزمان.

ـ ابتسم لهذا القول قائلاً:

كيف يكون هو صاحب الزّمان ثم يُولد في آخر الزّمان؟

---

(1) لا ننسى أن كاتب هذه السّطور هو من الذين نشئوا وترعرعوا في مدرسة السّقيفة ولكن الله منَّ عليه بالهداية فتحوّل في عزّ شبابه من تلك المدرسة اللقيطة إلى مدرسة أهل البيت الشريفة والحمد لله.

أليس هذا تناقضاً؟

ـ قلتُ: هل تعتقدون بوجوده في هذا الوقت؟

ـ قال: بلى وكلّ الشّيعة الموالين لأهل البيت يعتقدون ذلك.

ـ قلتُ: كيف يعيش طوال هذه القرون ولا يهرم ولا يشيب؟

ـ فقال: إرجع إلى كتاب الله واقرأ سورة الكهف فهناك الجواب الشافي إن شاء الله.

ـ قلتُ: فما سرّ بقائه حيّاً طول هذه المدّة وماهي الفائدة من ذلك؟

وهنا أطرق السيّد برأسه قليلاً وكأنه يجمع أفكاره وقال: إنّ الإنسان إذا ما وُلِدَ في هذا العصر ونظر من حوله ورأى كلّ هذه الإختراعات الحضارية والتّقنية من سيارات وطائرات وتلفزيونات وتلفونات[1] والآلات الحاسبة والسُّفن الكبرى التي تظهر في البحر وكأنها عمارة سكنية.

نعم، إذا ما رأى كلّ ذلك فإنّها ستبهرُهُ وتستهوي لبّه وعقله وينجذب إليها ويشعر مقابلها بالذلّ والحقارة أمام هؤلاء العمالقة الجبّارين الذين صنعوها فمن كان يتصوّر في القرون الماضية أنه

(1) مع أن وقت تلك المحاورة لم يكن التلفون المحمول معروفاً بعد، لكن يقصد التلفون الثابت في البيوت والمكاتب.

سيأتي يومٌ تطير فيه إلى السماء أطنان ثقيلة من الحديد وتحمل على متنها مئات الركاب بأدباشهم وأثقالهم...

مَن كان يتصوّر أنّ إنساناً في بغداد يكلّم صديقاً له في تونس مثلاً وكأنه بجانبه[1].

مَن كان يتصوّر أنّه سيأتي يومٌ لترى فيه المتكلّم والفنّان والمذيع لنشرات الأخبار من كلّ أنحاء العالم على شاشة التلفزيون؟

مَن كان يتصوّر أن حجاج بيت الله الحرام الذين كانوا يُسافرون من العراق إلى مكّة بثلاثة أيّام يَصِلُون اليوم في ثلاث ساعات؟

فقاطعته أنا قائلاً:

مَن كان يتصوّر يا سيّد أن بعض الجواسيس يحملون في جيوبهم آلات صغيرة جدّاً ويسجّلون عليَّ وعليك كلّ ما نقوله حرفيّاً؟

ـ أضاف نعم وما زال العلم يتقدّم ويتطوّر للوصول إلى أشياء خيالية لا يصدّقها العقل.

---

(1) ما كان السيّد أيضاً يتصوّر أنه سيأتي يوماً سيصبح التلفون محمولاً في الجيب وأنّ المتكلّمين يرى بعضهم بعضاً على شاشة التلفون.

سكت قليلاً وتناول كأساً من الماء وقدّمه إليَّ قبل أن يشرب منه لإطفاء عطشه مسلماً على أبي عبدالله.

ثم قال: وبالرجوع إلى سؤالك فقد بيّنت لك بأن الإنسان إذا ما وجد أمامه كل الأشياء التي ذكرنا فإنه سيُحقّر نفسه ويصغّرها ويشعر بالذلّة والمسكنة ويبقى أمام صانعيها العمالقة قزماً صغيراً.

أمّا إذا كان موُاكباً لها ومكتشفها وعارفٌ بأسرارها ورموزها ومُفككاً لألغازها ومشفّراتها وكائنٌ قبلها وصائر بعدها وفي هذه الحال سيكون هو العملاقُ والمسيطر عليها والمُحتقر لها ويُسْهِلُ عليه القضاء عليها في أيّ وقتٍ أراد.

وهذا دور الإمام المهدي وحكمة بقاءه طوال هذه الحياة، ثم قال: وهذا رأيي شخصياً قدمته إليك لعلّك تستفيد منه في يوم من الأيّام.

دعاية الولادة في آخر الزمان

لقد أشاعت مدرسة السّقيفة منذ القدم بأن الإمام المهدي ليس إلا خرافة شيعيّة لا أساس لها من الصّحة ولمّا تواترت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله عند كلّ المسلمين وبحثها علماؤهم وتحقّقوا من صحّتها عند ذلك أشاعوا بأنّ ما تدّعيه الشّيعة في الإمام المهدي ليس صحيحاً، فالشّيعة عندهم كاذبون متُأوّلون ودليلهم بأن المهدي المنتظر إسمه محمّد بن عبدالله وليس محمّد بن الحسن، وقد قدّمنا في ما سبق بأنّهم أضافوا إلى الحديث جملة وهي «واسم أبيه كإسم أبي» .

وقلنا بأن بني أميّة وكذلك مَن تبعهم يلجأوون دائماً إلى الحِيَلْ والتّزوير فيُضيفون في الحديث أو يبترون الحديث أو يُغيّرون منه كلمة بما يتماشى وعقائدهم للتمويه على الباحثين وتحريفهم عن الحقيقة .

وإليك نماذج ممّا ورد في تحريفهم لبعض الأحاديث:

جاء في كتب التاريخ أنّ الخليفة الوليد بن عبدالملك خطب يوماً على المنبر قائلاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت منّي بمنزلة قارون من موسى».

غيّر هذا الناصبي[1] حرف الهاء بالقاف فتغيّر المعنى كما جاء في بعض كتبهم قول الرّاوي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً في غدير خُم.

فغيّروا المعنى بكتابة: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله في غدٍ يرحَم جاء تبديلهم بعض الرّوايات لصالح أبطال السّقيفة أبي بكر وعمر فكانت كلّ الفضائل التي رُويت في علي بن أبي طالب تُنقل في فضائل أبي بكر وعمر من ذلك: الصّديق والفاروق وزادوا في حديث : أنا مدينة العلم وعليّ بابها. فقالوا وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها.

وزادو في حديث: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة فقالوا وأبوبكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة.

---

(1) المعروف عن الوليد بن عبدالملك أنّه ناصبي يبغض أهل البيت حتّى أنّه منع أن يتسمّى أحد بإسم علي وأنه قتل الشّيعة وكان يقطع أرجل من يزور قبر الحسين وهو الذي أعفى الضريح ومسحه من الأرض.

وهي كما ترى سخافات لا أساس لها من الصّحة ولا تقوم على دليل عقلي ولا نقلي.

وزادوا في حديث الإمام المهدي هذه الزّيادة : «إسم أبيه كإسم أبي» ليقولوا للنّاس بأنّ مهدي الشّيعة مزيّفٌ لأنه ابن الحسن، وأمّا المهدي الحقيقي فهو محمّد بن عبدالله الذي سيُولد في آخر الزمان.

وبما أنّ كثير من المسلمين يعتقدون بأنّنا نعيش فعلاً في آخر الزمان فإن كثيراً من الذين يتسمّون عبدالله عندما يولدُ لهم ذكراً يُسمّونه «مهدي» ويتبرّكون به لعلّه يكون المنتظر الذي نصّ عليه الحديث.

قال لي أحدهم وهو موصوف بالعلم ويدّعي أيضاً أنّه يعرف كلّ أسرار الشّيعة ، لمّا سألته ماهي الأسرار التي تعرفها؟

قال: أعرف أنّهم يهود اندسّوا في الإسلام لأنّ فكرة المهدي هي في الأصل فكرة اليهود الذين يعتقدون بأنّ عُزير ابن الله هو الذي سيعود ليملأ الأرض بالعدالة.

قلتُ: ثم ماذا؟

قال: قولهم بعد قراءة القرآن: صدق الله العليّ العظيم.

قلتُ مُتعجّباً: وما فيها كلّ المسلمين يقولون ذلك!

قال: لا المسلمون يقولون صدق الله العظيم.

أمّا الشّيعة فيزيدون فيها كلمة العليّ ويقصدون بذلك سيّدنا علي لأنّهم يعتقدون بأنه هو الله.

ضحكت والله من كلامه وقلتُ: زدني زدني رعاك الله!

قال: ومن الأسرار عندهم أنّ كل بغلةٍ يركبونها يسمّونها بإسم أمّ المؤمنين عائشة فتراهم ينهالون عليها بالضرب والشّتم، ثم يذبحونها ويُوزّعون لحومها هديةً لكبار العلماء عندهم!

قلتُ: من أين لك كلّ هذه المعلومات في أي كتاب قرأتها؟

أجاب: إنّها اسرار لا تُقال لكلّ النّاس ، وأنا عندي مصادر خاصّة وإن شئت الزّيادة أزيدك.

قلتُ: كفاني مصادر المسلمين حتّى أضيف مصادرك الخاصّة.

هذه نماذج من مُفتريات مدرسة السّقيفة لازالت لحدّ الآن تُروّج في بعض الأوساط لإبعاد النّاس عن أهل البيت.

والعجيب الغريب أنّ مَن يدّعي العلم والإطّلاع يؤمن بهذه الأراجيف ويتحدّث بها أمام النّاس.

ودائماً لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

ملاحظة: يجب عليَّ أن أقول لا حول ولا قوّة إلا بالله العظيم لأن كلمة العليّ ـ فيها إشكال ـ .

رحمة الله الواسعة لا تمنع من تفاعله مع النّاس

إذا إقتنعنا بوجوده حيّاً بيننا وهو يرانا من حيث لا نراه ويعرفنا من حيث لا نعرفه فلا يمنع ذلك من تفاعله مع النّاس خصوصاً المؤمنين المخلصين منهم.

وكثيراً ما سمعت بعض رجال الصّوفية يتحدّثون عن حضور سيّدي عبدالقادر الجيلاني إليهم وقت الشدّة وعند المرض فيأتي إليهم ويُعالجهم ببعض اللّمسات والبعض يحكي أنّه أثناء الطّواف بالكعبة سقط بين البيت ومقام إبراهيم وداسته الأقدام وأشرف على الهلاك وإذا بشاب وسيم يشعُّ وجهه نوراً مسكه من ذراعه وأوقفه، يقول: فالتفتُّ لأشكره فلم أجده.

وعندما سألوه من يعتقد منقذهُ؟ قال: سيّدي عبدالقادر وهكذا هي أحلامهم وتعلّقهم بعبدالقادر الجيلاني وأحمد التيجاني وعبدالسلام الأسمر ولمّا تسألهم مَن هم أهل بيت النّبي، لا يعرفون إلا أنّهم نساؤه صلى الله عليه وآله.

وكلّ الأولياء والصّالحين الذين ذكروهم على فرضية صلاحهم لكنّهم ماتوا وانقطعت من الدّنيا أعمالهم فمن المُحال أن يكونوا هم الذين يتفاعلون مع النّاس، فكيف وقد أصبحوا تُراباً؟!!

ولماذا لا يكون هو صاحب الزّمان الإمام المهدي الذي أحاطه الله بعنايته وأعطاه هذه الكرامات الظاهرية ومكّنه من علاج بعض المؤمنين والعمل على إنقاذهم في وقت الشدّة وهو ما يتطابق مع القول بأنّ النّاس ينتفعون في غيبته كما ينتفعون بالشّمس إذا حُجبت بالسّحاب والغُيوم.

ونُلاحظ أيضاً حتّى في دُعائنا له بما يُسمّى دعاء الفرج فإنّا نقول: «اللهمّ كُنْ لوليّك الحجّة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه السّاعة وفي كلّ ساعة وليّاً وحافظاً، وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً.

وفي قولنا: في هذه السّاعة وفي كلّ ساعة لا يعني في آخر الزّمان فقط مع ملاحظة أنّ هذا الدّعاء تعلّمَه المؤمنون من الأئمّة الطّاهرين منذ ألف سنة وزيادة فهو سبحانه وتعالى يُواليه ويحفظه في كلّ لحظة وهو الذي يَقوده لعمل الخير الذي يكون لصالح البشرية مُطلقاً وينصره على كلّ من يعترض سبيله للعلاج والإنقاذ والإصلاح، ويدُلُّه بعنايته على المؤمنين والمستضعفين الذين

يتوسّلون إليه سبحانه وتعالى لتفريج كُرباتهم وهذا ما يليق بحكمة الله سبحانه ولطفه بعباده وليس كما يتصوّر بعض الشّيعة من حيث لا يشعرون بأنّ الإمام الحجّة صلواتُ الله وسلامه عليه محبوساً في مكانٍ ما لا يقدر على فعل شيء كالعبد الذي حُكم عليه بالسّجن فهو يأكل ويشرب قابعاً في زنزانةْ ولذلك هم يدعون له بالفرج في قولهم المهدي عجلّ الله فرجه.

لا ثمّ كلا إنه إعتقادٌ فاسدٌ لا يليق بجلال الله سبحانه العزيز الحكيم، فهو لطيف بعباده يريد بهم اليُسر ولا يريدُ بهم العُسر أحنّ على عبده من المرأة المرضعة على ولدها الرّضيع وهو الرؤوف الرحيم.

وعلى هذا لابدّ أن نُعطي لهذا الدّعاء معناه الحقيقي ونفهم من خلاله بأنّ فرج الإمام عليه السلام هو فرج البشرية كلّها من الجور والظّلم والقهر لتنعم بالقسط والعدالة والرفاهية.

هذا هو همّ الإمام وشُغله على مرّ الزّمان وكأنّه يستعجل للظهور ليعرفه النّاس كما عرفوا جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

حُروب الإمام بعد الظّهور

تكلّم في هذا الموضوع كثيرا من الكتّاب والعلماء وقد ذهبوا بعيداً في تصوّراتهم ولا لَومٌ عليهم في ذلك لإعتمادهم على بعض الأحاديث والرّوايات، وليست كلّ الرّوايات والأحاديث موثوقة وصحيحة والفرزُ صعبٌ وقيل بأنّه سيخرج بالسّيف وهؤلاء القائلين بهذا يتصوّرون بأنّ الإمام سيبطل كلّ أسباب الطّبيعة من التقنية والتكنولوجيا والعلم الحديث فلا طائرة ولا دبّابة ولا مسدّس ولا رشاشة ولا يبقى شيء من كلّ ذلك لتعود الحياة بدائية كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك يتصوّرون بأنّ السّيف يعمل في رقاب الكافرين والمعارضين والمشركين بل حتّى في المسلمين ومنهم مَن يروي بأنّ الإمام سيبدأُ بأصحاب العمائم من المسلمين خصوصاً الشّيعة ليقطع روؤس عشرات الآلاف منهم، وإذا كان هذا فقط في المسلمين فما بالك برؤوس الكافرين والمشركين والمعارضين فحدّث ولا حرج.

وهذه النظرية باطلة كليّاً ولا تصحُّ نقلاً ولا عقلاً ولا تتماشى مع حكمة الله تعالى الذي علّم الإنسان ما لم يعلم وسخّر له كلّ ما في السّموات والأرض جميعاً منه للإستفادة منها فكيف سيعود بنا الإمام إلى العصر الحجري البدائي؟!!

وإذا كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوّته الخارقة وبسيفه ذوالفقار ولمدّة خمس سنوات من الحرب لم يقْضِ على النّاكثين والقاسطين والمارقين.

فكيف للإمام المهدي أن يقضي على مليارات بسيفة؟!!

فهذا غير معقول وليس من الحكمة في شيء.

وذهب فريق آخر عكس ما ذهب إليه الفريق الأوّل فقال: بأن عصر الإمام سيكون هو العصر الذهبي للإكتشاف والإختراع لأنّ الله سبحانه أنزل إلى الأرض 24 قيراط من العلم فأعطى للنّاس قيراطين فقط واحتفظ بـ 22 قيراط للمهدي عليه السلام.

وعلى العقل البشري أن يتصوّر ما وصل إليه الإنسان بقيراطين في هذا العصر، فكيف له أن يتصوّر ماذا سيكون العالم في عصر الظّهور وعنده 22 قيراط؟...

وبدأت الرّوايات تُكتب من هنا وهناك في هذا الخيال اللامحدود بأنّ الإمام إذا تكلّم يسمع كلامه كلّ منَ في الأرض

بدون إستثناء وإذا أراد السّفر من إيران إلى أمريكا مثلاً فمركبته من الصّحون الطائرة لا تستغرق إلا دقيقة واحدة و... و... حدّث ولا حرج.

وإن كانت نظرية الفريق الثاني هي أقرب للواقع الذي نراه ونشاهده اليوم ولا يُستغرب ذلك من إمكانه ووجوده خصوصاً إذا تيقّنا بأنّ القدرة الإلهية ستسخّر للإمام من المعجزات ما تمكّنه من تحقيق الهدف المنشود وهو القسط والعدالة لكلّ سكّان الأرض بالقدرة الإلهية غير محدودة لأن الله على كلّ شيء قدير.

ولا نُطيل المُناقشة في هذه النّظرية العلمية فما كنّا نراه بالأمس القريب مستحيلاً أصبح اليوم مُمكناً ولست بحاجة لذكر الدّليل على ذلك لمعرفة كلّ النّاس لهذه الحقائق ، فمن كان يتخيّل بأنّ مكتبة تحتوي على سبعين ألف كتاب تَدخل كلّها في تلفون يحملُ في الجيب!!!

والأغرب من ذلك أنّك بزرٍّ صغير يُمكنك من إستخراج أي كتاب عرفته.. بل أي جملة أردتها وذلك كلمح البصر أو هو أقرب ـ سبحان الله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم.

لكن جدالي ونقاشي مع الفريق الأوّل بخصوص القتل الذّريع وسفك الدّماء التي ستجري بها الأنهار على قول هؤلاء الذين يدّعون خروجه بالسّيف.

وقديماً قال بعض علماء السّقيفة بأنّ محمّداً بُعث بالسّيف كذباً وبهتاناً وردّاً على قول الله تعالى بأنّه بُعث رحمةً للعالمين.

ولم يكن السّيف الذي حمله رسول الله صلى الله عليه وآله إلا تعبيراً على تلك الرحمة لأنّه كان يدفع به الظّلم والعدوان لنصرة الأطفال والنساء والرّجال المستضعفين الذين يقولون ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هذه الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً**﴾[1].

أمّا الذين تتلمذوا في مدرسة السّقيفة فلا يعرفون الرّحمة والشّفقة والرّأفة بل جُبلوا على الرُّعب والإرهاب وسفك الدّماء ألا ترى أن المملكة العربية السّعودية شعارها في العلم هو السَّيف وبذلك السَّيف قُتل في النجف وكربلاء آلاف المسلمين في الماضي، وقُتل آلاف العراقيين والسُّوريين بالسيّارات المفخّخة في الحاضر.

---

(1) النساء، آية 75.

فالقتل وسفك الدّماء في الماضي والحاضر هو شعارهم وحاش الامام المهدي عليه السلام أن يكون من تلك المدرسة فهو من مدرسة أهل البيت الذين يُشفقُون رأفةً على العباد فجدّه الحسين الشهيد وقفَ في كربلاء في ساحة المعركة ونظر إلى تلك الجنود الذين وقفوا لحربه وقتله فبكى وسأله بعض أصحابه: أتبكي يابن رسول الله خوفًا من الحرب؟ فقال: لا واللهِ إنّما بُكائي على هؤلاء الذين سيدْخُلون النّار بسَببي.

كمّا بكى أبوه أمير المؤمنين عليه السلام بعد حرب الجمل واضعًا يده على لحيته باكيًا قائلًا: أووه على قومي.

كما بكى رسول الله صلى الله عليه وآله جدّهم لما أصابه من قريش قائلًا: اللّهُمَّ إهدي قومي فإنّهم لا يعلَمُون.

هكذا هي الرَّحمة والشَّفقة والحنّانُ الذي إمتاز به أئمة أهل البيت عليهم السلام وامتاز به الشيعة المخلصون لهم لأنهم تخرّجوا من تلك المدرسة الأصيلة.

واتّبعوا أئمتهم في كلّ ما إتّسموا به من أخلاق عالية وأعمالٍ رشيدة.

إذاً سيظهر الإمامُ المهدي عليه السلام بكلّ تلك الصّفات الإِيجابيّة التي

تمثّلتْ في وجُودِ رَسول السّلام الذي قال فيه مَن أرسَلَهُ:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(1)

هَذه الأوصاف كلّها ستتجلّى في الإمام المهدي عليه السلام فليس هو بِطَاغٍ ولا مُتجبّرٍ ليُسفكَ الدّماء ويفسد في الأرض إنّما ستكونُ دعوتُه لكل رُؤساءِ وملوك الأرض بالحكمة والموعظة الحسنةِ والجدال بالتي هي أحسن فيُقنِعَ المُعَارضين لَه بالحجّة البالغة والدَليل القاطع فيسلّمون عليه بنفسِ التحيّة ويقبلونَ دعوتَه ويدخلون في دين اللهِ أفواجًا يومًا بعد يوم حتّى يسُودُ السّلامُ في كلّ بقاع الأرض ولا تَبقى ذَرِيعةٌ واحدةٌ لإشعال نار الحرْبِ.

وقد يقول قائل أو يعترضُ مُعتَرضٌ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد جاء بكلّ ما ذكرتُ ولكن مع ذلك لم يسلّم له كلّ الناس ولم يملأها قسطًا وعدلًا فكيف سَيفعلُ ذلكَ الإمامُ المهدي؟؟

والجواب على ذلك واضِحٌ لأنّ الرَّسول محمّد صلى الله عليه وآله بُعثَ للنّاسِ كافّةً بشيرًا ونذيرًا ولم يكلّفْهُ ربُه بهداية النّاس جميعاً بل قال له:

(1) التوبة آيه 128 .

﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[1].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[3].

ومن قراءتنا لهذه الآيات الكريمة المُتعدّدة فهمنا بأنّ الدوْر والمهمّة التي بعث بها النبيّ محمّدﷺ إنّما هي البشارة والنذارة وأنّ الله سبحانه جعل من بعده هُدَاةٌ لكلّ قومٍ فقال:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[4].

---

(1) البقرة آية 119.

(2) سبأ آية 28.

(3) فاطر آية 24.

(4) الرعد آية 7.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾[1].

وبداية الآية بإنّما وهي أداةُ حصْرٍ دلَّ على تكليفه المحدُود وقد ألمحنا في العديد من صفحات هذا الكتاب بأنّه سبحانه وتعالى هو الذي يُدبّر الأمرَ من السَّماء إلى الأرض ومن تدبيره أن اصطفى من ذرية النبيّ صلى الله عليه وآله إثنا عشرَ رجلًا فجعلهم أئمّةً يَهدُون بأمره لما صَبروا وكانوا بآياته يُوقنونَ.

وسابقٌ في علمه جلّ وعلا بأنّ الأئمّة الطيّبين المُطهّرين سوف يكونوا مُضطهدين ومقهُورينَ من أبطال السَّقيفة المُتآمرين إلى دَرجة تشريدهم وقتلهم كما تآمر الأوّلون على قتل أنبياءهم ورُسلهم وما الله بغافلٍ عمّا يعمَل الظالمونَ إنّما يُؤخّرهُم ليومٍ تشخصُ فيه الأبْصارُ.

وعوّض الأئمّة عليهم السلام جزاء صبرهم الجميل وجهادهم الطّويل وتفانيهم في حبّ الله، أنْ جعل من نسلهم إمَامًا عظيمًا يَفوقُ عملُه كلّ أعمال الأنبياء والمرسلين لأنّه سَيُملّكه كُلّ الكون بما فيه ويجعلُه سببًا ليمْلأ الأرض عدلًا وقسطًا بعدما مُلئتْ ظلمًا وجورًا.

---

(1) النازعات آية 45.

فأين قول نبي الله سليمان عليه السلام الذي قال:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[1].

لم يدْرِ نبي الله سُليمان عليه السلام بأنّ الله سبحانه وتعالى سيُعْطي لواحدٍ من خلقه ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خَطَر على قلب بشر، سيُعطي لإمام الزّمان عليه السلام التصرّف في كلّ الأرض، وكأنّ الله سبحانه إستجاب لدعْوة سليمان نيابة عن إمامِ الزّمان فكان للمهدي مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من قبله ولا من بعده نبيّ كان أو رسول أو ملك مُقرَّبٌ.

ولذلك لم نجد إستجابةُ الله لمطلب نبيّه سليمان عليه السلام فلم يقُلْ سبحانه **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾**، إنّما قال بعد مطلب سليمان مباشرةً **﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ* وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ* وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ* هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ* وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ**

(1) ص، آية 35.

مَآبٍ﴾[1].

ولم يملك سُليمان من الأرض إلاّ جُزءاً من أجزائها بدليل قول الهُدهُد لسليمان: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

نعم، لم يُعطِ اللهُ سبحانه لأيّ نبي ولا رسولٍ مِلْكَ الأرض كُلَّها إلاَّ لهذا الإمام العظيم وسوف يسخّر الله له كلّ الطبيعة كلّ ملكوت السّماء والأرض بما في ذلك ملائكتَه أجمعين.

ألم نسجّل كلُّنا بأنّ الله سبحانه وتعالى أرسل الملائكة لتُعينَ محمّدًا صلى الله عليه وآله في معركته الأولى بدر الكبرى!

والخلاصة التي نستنتجها من كلّ ما سبق بأنّ الحرب لا طائل ولا فائدة من وراءها لأنها لا تُخلّف إلاّ الدمار وحاش الإمام المهدي أن تكون حربه حربًا تدميرية إنّما ستكون حَربُه إن جاز لنا أن نُسمّيها حربًا فهي حَربٌ كلاميّة يَنْهزِمُ كلّ من يَسْمَعُهُ ويُسَلّمُ تَسْليمًا.

---

(1) ص، آية 40.

أتصوّرُ شخصيًّا أنّ اليهود والنّصارى إذا ما تَلَى عليهم آياتُ الله البيّنات في عصره سَيستَمِعونَ إليه بكلّ عنايةٍ ليهتَدوا إلى الحقّ الذي كانوا يَبحثون عليه دائمًا.

قال تعالى ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا**﴾[1].

وقال أيضًا: ﴿**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[2].

ومثلهم في ذلك كمثل السّحرة الذين جمعهم فرعونُ ليبطلُوا حجّة مُوسى، فإذا بهم لمّا عرفوا الحقّ سجّدُوا لِلّهِ وقالوا آمَنّا بربّ هارون وموسى.

وَلا ننْسى بخصوص هذه الفرضيّة نزول عيسى نبي الله من السّماء عليه السلام، وفي نزوله عند ظهور الإمام المهدي حكمة من عند الله سبحانه لأنّ عدد النّصارى اليوم هو ضعف عدد المسلمين وهم الذين يملكون أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الفتّاكة وكلّ أسباب القوّة فالمسلمون يشترون الأسلحة من عندهم، فلو قامتْ حربٌ

(1) الفرقان آية 73.

(2) السجدة آية 15.

بينهم وبين المسلمين فستكون الغلبة لهم والنّصر بعد سيل بحر من الدّماء البشريّة وهذا منافٍ لحكمة الله عزّ وجلّ اللطيف بعباده وهو بهم رحمان رحيم.

وإذا نزل فيهم ابن مريم عليه السلام وذكّرهم بآياتِ الله، وأوضح لهم بأنّه عبدُ الله ورسولهُ أرسله إلى بني إسرائيل من بعد مُوسى، وأنّه بشّرهم بنبيّ يأتي من بعده إسمه أحمد وأن رجال الكنيسة هم الذين خانوا الأمانة وكتموا الحقّ وهم يَعلمُون بعد هذا العرض يُقدّم لهم الإمام المهدي على أنّه الإمام الذي تنتظره البشريّة كلُّها ليخرجهم من الظلمات إلى نور الله الواحد الأحد الفرد الصَّمد الذي لم يلد ولم يولَد ولم يكن له كفؤًا أحد.

عند ذلك يعتنق كلّ النّصارى دين الإسلام ويسلّمون على إمامِ زمانهم محمّد المهدي، وعندما تُقام الصَّلاة يتأخر عيسى عليه السلام ويُقدّمُ الإمام المهدي ليصلّي بالنّاس قائلًا: يا مهدي أنت إمامُنا اليوم كما كان جدّك المصطفى إمامًا للأنبياء والمرسلين في الإسراء والمعراج[1]، ويُصلّون خلفهُ بإمامته عليه السلام ولا يبقى من المعاندين

(1) جاء في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم، قول الرسول: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم.

والمشاغبين إلّا عددٌ قليل يقال أنّهم يتّبعُونَ المسيحَ الدّجّال فيتعاون الإمام بالسيّد المسيح على قتلهم بعد إقامة الحجّة عليهم وتخليص الإنسانيّة من شرّهم وفتنتهم.

ولكن يبقَى هناك مُشكلٌ وعقبةٌ كأداء في طريق المؤمنين الذين آمنوا بالإسلام المحمّدي الأصيل ألا وهو إبليس اللّعين وأعوانه من شياطين الإنس والجنّ الذين كانوا يَهربون من عمر ابن الخطّاب حسب إعتقاد علماء السَّقيفة وأتباعهم، فهل سيهربُون من الإمام المهدي يا تُرى؟

وحتّى يتخلّص المؤمنون من إغواء الشياطين ووسواسهم فلا بد من قتلهم وتطهير الأرض من وجودهم.

وسيبدأ الإمام عليه السلام باللّعين إبليس الذي سيَعْلَمُ وقتَها بأنّ وعد الله حقّ إذ وصلتْ حياته إلى نهايتها لأنّه عندما طلب من ربّه أن يُبقيه ليوم يُبعثون لم يستجب له أيضًا بل ردّ عليه بقوله:

﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[1].

﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[2].

---

(1) الحجر آية 37.

(2) ص آية 80.

فكان الملعُون يطلب من الله سبحانه أنْ يُعطيه الحياة إلى يوم يُبعثونَ.

ونحن نعرف بأنّ البعث والنُّشور هو ما بعد قيام السّاعة وما بعد فناء كلّ الكائناتِ إذ يقول العُلماء بأنّ ما بين قيام السّاعة وفناء الخلق، وبين يوم القيامة وهو يوم البعث هناك وقتٌ طويل لكي تتبخّر عظام الموتى وتصبح تراباً وهذا الوقت لا يَعلمُ مقدارهُ إلاّ الله وحده سبحانه وتعالى فاللّعين أبليس يريد أن يعيشَ لوحده في تلك الفترة الطَّويلة ولذلك كان في كلّ مرَّةٍ يطلبُ من الله أن يديمَ حياتَه إلى يومِ يُبعثُون.

لكنّ الله سبحانه كان يردُّ عليه في كلّ مرّة بقوله: ﴿**فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾.

فالوقتُ المعلوم هو ظهور الحجّة بن الحسن سَلام الله عليه الذي وكّله الله سبحانه بإنهاء حياة الأبالسة والشياطينِ لِتَمْتَلأَ الأرض بعدهم بالقسط والعدل كما ملؤوهَا بالجورِ وَالظلم طيلة حياتهم.

هذا اعتقادي الشخصي واستنتاجي العلمي والله أعلَمُ.

وإذا تدبّرنا حديث الرسول صلى الله عليه وآله وقوله: «لو لم يبقَ من الدّنيا إلاّ يومٌ واحدٌ لطوّلَ اللهُ ذلك اليوم حتّى يظهر المهدي من ولدي اسمه

كإسمي[1] يَملأُ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئتْ ظلمًا وجورًا».

ويُوافقُ هذا الحديث النبوي الشريف ما جاء في القرآن الكريم من قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[2].

فالقرآن يُشيرُ بوضوح بأنّ ظهور المهدي عليه السلام سيكون علمٌ للسَّاعة ومعناه أنّه سيكون عصره قريب من قيام الساعة.

والخلاصَة التي يسلّم العقلُ السليم بها هي أنّ وعد الله حقٌّ لإظهار دين الإسلام على كلّ الأديان ولكنّه لم يتحقّق حتّى يوم الناس هذا وبما أنّ العقل يُسلّم بأنّ وعْدَ الله حقٌّ وأنّه سبحانه لا يُخلف وعده فلا بدّ أن يأتي زمان يتولّى فيه حفيد المصطفى الإمام المهدي عليه السلام قيادة العالم بأسْرِه وبالتأييد الإلهي يَستَطيع تحقيق العدل الكامل والشامل في كلّ أنحاء العالم، فلا يبقى كائنٌ من سكّان الأرض إلاّ إعتنق الدّين الإسلامي طائعاً.

---

(1) قد أشرت إلى أن بني أميّة قد زادوا فيها ـ وأسم أبيه كإسم أبي ـ وهي زيادة مكذوبة يريدون بها تكذيب نظرية الإمامة عند الشيعة.

(2) الزخرف آية 61.

عند ذلك تشرق الأرض بنور ربّها وَيتمُّ نور الله سبحانه الذي عجز أعداء الله على إطْفائِه، فلا يبقى جائع ولا فقير ولا محتاجٌ ولا مظلوم، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتّقين.

غضب الله سبحانه يَستوجب العُقوبة

الذي يتدبّر القرآن ويَفتَح أقفال قلبه سيعرف حتْماً بأنّه جلّ وعلا يغضب ويَرضى، وقد سطّر القرآن الكريمُ خمْس آياتٍ تحدّثنا متى يكون ذاك الغضب وخمس آيات أخرى تحدّثنا متى يكون ذاك الرِّضا.

وباختصار نقول بأنّ الله سبحانه يغضب على عبده إذا اتّبع الشّيطان ودخل في المعاصي، ويرضَى عنه إذا تاب وآمن وعمل صالحًا ثمّ اهتدى.

وبما أنّ الإنْسان لا يستقرُّ على حالٍ فتَراه مرّةً يَسيرُ مُستقيمًا يعمَلُ صالحًا وأخرى ينحرف إلى سبيل الشيطانْ ثمّ يتوبُ ويستغْفرُ ثمّ يعودُ إلى المعاصي لذّلك سَوف لا يكون غضبُ الله دائمٌ ولا رضاه دائمٌ.

قال تعالى في حقِّ المؤمنين الذينَ بايعُوا رسولَهُ على الموت في

سبيل الله ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

نعم هناك يتجلّى رضاه سبحانه وتعالى لأن المؤمنين كانوا على درجةٍ كبيرة من الإيمان وعملوا ببيعتهم عملًا صالحًا.

فتعالوا بنا لنرى كيف سَيغضب اللهُ سبحانه على نفس المؤمنين الذين رَضي عنهم فيمَا سبق من الأيّام.

قال تعالى مُخاطبًا المؤمنين الذين بايعُوا النبي صلى الله عليه وآله على الموت في سبيل الله وهم أنفُسهم الذين نالوا رضاه

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2].

لكلّ ذلك يجب على المؤمن أن يدعو ربّه دائمًا أن يثبّتْ أقدامهُ على الصراط المستقيم ويكثر من قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ ويُكثر من

---

(1) الفتح آية 18 .

(2) الأنفال آية 15 .

الدُّعاء المأثور الذي يقول:

اللَّهُمّ أمِتْنا على حسن الخِتام.

اللُّهمّ لا تُخرجنا من هذه الدنيا إلا وأنت راضٍ عنّا.

اللّهُمّ رضَاكَ يومَ لقَاكَ،

اللُّهُمّ نسألُكَ الرّاحةَ عند الموت والمغفرة بعد الموت والعفْو عند الحساب ورِضاكَ والجنّة.

الذينَ يؤذونَ اللهَ ورَسولهُ

عَرفْنا مدَى غضب الله سُبحانه على الذين يَفرُّون من الزحْفِ وأنّ مصيرهم إلى جهنّم.

فكيف سيكُون غضبُه سبحانه على الذين يؤذُونَ الله ورَسولَهُ؟ وهل يمكن للإنسان أن يؤذي رَبَّهُ؟؟

وأعتقِد أنّ إذايةَ الله غير ممكنَة ومستحيلة فلو إجتمع الجنّ والإنسُ وكُلّ ما خلق لا يقدرون علَى إذَايَته تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

فقوله: ﴿يُؤذُونَ اللهَ ورسولَه﴾ هو تعْبير مَجازي في حقّ الله، والمعنى أنّه من يُؤذي رسولَ اللهﷺ فكَأنّما قصَدَ بإذايتهِ الله سبحانه فهو الذي اصطفاهُ وأرسَلَهُ، ومنها يُفهمُ بأنّ من أطاع الرسول فقد أطاع اللهَ ومن عصَى الرسول فقد عصَى اللهَ سبحانه.

وإذا كان الأمر كذلك فتعالوا بنا نشخّصُ معنى الأذايةِ عند الله

سبحانه. قال تعالى:

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]. وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[2].

فإذا كان الذي يقولُ عن النّبي ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ بمعنى أنّه فاتح أذُنيه ليسْمع ما يقولهُ النّاس، وهو كما ترى ليس فيها حطّ من كرامته ولا خدْشٌ في نبوّته.

ومع ذلك حكم الله سبحانهُ وتعالى بأنّها إذاية للنّبي إذًا فما بالك بمن طعن في عِصمته وشكَّك في نُبوَّته بقوله: «إنّ الرَّجُل يهجُر وحَسبُنا كتاب الله يكْفينا!!».

وقولُ عُمر ابن الخطّاب: «إنّ الرّجُلَ يَهجُر»، هو كُفرٌ صريحٌ لأنّه طعن في عصمته وشكٌّ في نبوّته وردٌّ على الله سبحانه الذي قال عن عصمة نبيّه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾.

---

(1) التوبةُ آية 61.

(2) الأحزاب آية 57.

وأمّا قوله: «حَسبُنا كتاب الله يكفينا» فهو ردٌّ على رسول اللهﷺ في قوله: «تركتُ فيكم كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلُّوا أبدًا».

ومفهوم الحديث أنّ الذي يتمسّك بالقرآن من دون العترة أو يتمسّك بالعترة من دون القرآن يدخلُ في الضلالة، وفهم عمر ابن الخطّاب من قول الرسولﷺ: «هلمّ أكتب لكم كتابًا لن تضلّوا بعده أبدًا» فهم بأنّ الرَّسولَ أراد تأكيد الحديث السَّابق ذكره كِتابيًّا وهو التمسّك بالكتاب والعترة بهما معًا.

ومن المعلوم أنّ الحديث ذُكِر مرّات عديدة شفويًّا وبما أنّ الحديث الشّفوي قد يُنسى وقد يمُوت من سمعه وقد يُشَكُّ في صدوره من النبيّﷺ لذلك أراد الرسولﷺ أن يكون مكتوبًا ليكون حُجّةً أبد الدّهر لأن الله أعلم رسولَه بالمؤامرة الدَّائرة في قريش من أجل الخلافة من بعده.

وتفطّن عمر ابن الخطّاب لخطورة ذلك الكتاب إن كُتِبَ فإنّه سيَقطعُ عليه خططَهُ التآمريّة لإبعاده عليّ بن أبي طالب عن خلافة الرسول.

لذلك جاء ردّه على النّبيّ بتلك العِبارات الوقحة «حَسبُنا كتاب

الله» لأَنَّكَ أصبحتَ تَهذي «تهجُر» فلا حاجة لَنا بِكَ ولا بِعترتِكَ، فنحن سَنُدبِّرُ أمرنا.

وليس أمامنا تفسيرٌ أو إحتمالٌ غير هذا الذي ذهبنا إليه. والغريب أنّ عمر ابن الخطّاب أوجَد من يوافقهُ تَمامًا على مَا قرّرَهُ وذهب إليه في الطّعن الصّريح على النبي صلى الله عليه وآله إذ تقول الرّواية بأنّ الصحابة الذين حضروا هذه الرزيّة إختلفوا فمنهم من يقول: قَرّبوا للرّسول ليكتب كتابَهُ، ومنهم من يقولُ ما قال عُمَرْ!.

وفي إعتقادي بأنّ المؤامرة كانتْ متمكّنة جدًّا فكان أغلبُهم يُوافقون عُمر في طعناته واعتراضاته وإذايته للنبي صلى الله عليه وآله.

لذلِكَ غَضِبَ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقالَ: أُخرجُوا عنّي ولا ينبَغي عندَ النبيّ تنازع. وأطردهُم من بَيته.

وَهنا لا بُدّ من وَقفةٍ صريحةٍ تُزيل الحجاب والقناع لكي تظهر الحقيقة عَاريةً بدون غطاء.

والسُّؤال هنا لجميع المسلمين: هل يَصحُّ ويَجوزُ أنْ يُقال: عمر ابن الخطّاب رضيَ الله عَنه؟

في حين أنّه طعن في عصمةِ النّبي وشكّك في نُبوّته حتّى غضِب عليه رسول الله وأطرده من بيته.

وهل كان اللهُ ليغضب ويلعن من قال عن نبيّه «أُذُنٌ» ويَرْضى عمّن طَعَن وأغضَبَ رسوله وتسبَّب في ضلالة الأمّة بعد نبيّها؟

كلّا ما هكذا عَدْلُ الله يا أولي الألباب ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾.

والمفروض أنّ الذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ في الدّنيا والآخرةِ وأعدَّ لَهم العذاب المُهين لا يترضّى عنهم المسلمون ولا يحترمونهم وَلا يُقيمونَ لهم وزْنًا، فضلًا عنِ القَولِ بتَفْضِيلِهم على سَائر العباد وتَقديسهم.

أرَأيتُم ما فَعَلتْ مدرسةُ السَّقيفة بالمسلمين يا عباد الله! أرَأيتُم كيف عَكَسَت كلَّ شَيْءٍ فأصبح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي مجّدهُ الله وَرسولَهُ أصبَحَ يُلعَن على المنابر وأصبَح الذي لعَنه الله وَرسولُهُ أصبح أميرًا للمؤمنين يُمجّدونَه ويَمْدحون خِصالَه ولو كانتْ على حسابِ النبيّ نفسه، فأيُّ ضَلالٍ وأيُّ كفْرٍ بعد هذا؟

وإنّي والله عندَما أتذكّر ذلك المَوْقف الذي وقَفَه معارضًا لرسول الله وتلك العِبارات التي طعن بها النبيّ أقُولُ إنّه شيطانٌ مَريدٌ وليس بإنسان شديد.

ومن حقّي أن أتصوَّر بأنّ إبليس اللّعين الذي كان يَهربُ من

مجلسٍ فيه ابن الخطّاب، أنّه لم يهرُبْ في يوم الخميس، يوم الرّزية التي أُصيبتْ بها الأمّة كلُّها فأيُّ عملٍ كان سيُفرِح الشَّيطان ويَسْعَد به أكبر من إنحراف الأمّة الإسْلامية بعد نبيّها وإدْخالها في ضلالةٍ كان إبليسُ طيلة حياة النّبي صلى الله عليه وآله يُحاوِلُها ولا يقدِرُ عليها فلا شكَّ بأنّه كان في تلك اللّحظات واقفًا إلى جنب صاحبه عُمر ابن الخطّاب ليؤازره ويشدّ على عضده ويُوَسْوسُ في صُدور الحاضرين من المنافقين والذين في قلوبهم مرض ليُؤيّدوهُ ويَقولوا مثل مَقالَته.

وبمّا أنّي بَاحثٌ وعلى الباحث توَخّي الحقيقة أينما وُجدَتْ فلا ينحازُ إلى مذهبٍ أو حزبٍ ولا تأخذه في الله لَومَةُ لائمٍ وقد قرأت كلَّ ما تأوّلَه علماء السنّة للتخفيف من شنَاعة تلك الرّزية، والتِماسهم بعض الأعذار لإبن الخطّابِ كما قرأتُ كلّ ما ذكره الشيعة في كتبهم من إدَانتهِم لموقف عمر ابن الخطّاب على الجُرأةِ والقبح الذي واجهَ به النبي صلى الله عليه وآله قبل وفاته بثلاثَة أيّام فقط.

وإنّ عقلي السَّليم بحمد الله لم يُطاوعني في قبول مَا اعْتذَرَ به علماءُ السنّة عن عمر ابن الخطّاب لأنّها أعتذاراتٌ واهيةٌ لا تَقومُ على دَليلٍ مُقنِع بَل العقْل يَميلُ إلى ما ذكرهُ عُلماء الشيعَة بهذا الخصوص.

وإذا ما تركْتُ أقوالَ الطّرفين من السنّة والشّيعة فسوف أصْطَدِمُ بموقف وأقْوالِ الرَّسولِ نفسهُ، فلو كان ما يقولُه أهلُ السنّة مقبولًا لكانَ النّبيُّ بمَا أُوتِيَ من خلقٍ عظيم إن عَلِمَ أنّ عُمر أرادّ التّخفيف عليه لَمَدَحَهُ وشكَرَهُ على حُسن نيّتهِ لأنّه لا يعلَمُ النّوايا إلّا الله سبحانه وتعالى ولو عَلم الله حُسن النيّةِ عند عمر ابن الخطّاب لأوحَى لِرَسولِه بذلك فلا غضبٌ، ولا طردٌ، ولا رزيَّةٌ.

ولكنّ ما وصل إلينا من خِلالِ الرِّوايةِ هو عكس ذلك تمامًا إذ أنّ الخلاف وقع وارتفعَتْ الأصوات بين قابلٍ ورافضٍ للكتاب فغضب رسول اللهﷺ وقال: أخرجُوا عنّي لا ينبَغي التنازع عند النبي.

فغضَبهُﷺ وطردُهُ لهم أكبر دليل على سوء النيّة التي كان يحملُها عمر بين جنباتهِ وهي التي أعلمَ بها اللهُ رَسولَهُﷺ كي يَطرُدَهُمْ ولا يَكتُب لهم.

فغضبُ الله سبحانه من غضب رسوله كما قدّمنا في الأبحاث السّابقة وسخطُه من سخطه ورضاهُ من رضَاهُ.

فهل نسيَ عمر ابن الخطّاب ما جاء في سورة الحجُراتِ أو أنّه ما قرأها طيلة حياته رغم أنّ أسبابَ نزولها كان بسببه وسبب صاحبه

أبو بكر عندما رفعا أصواتَهُما فوق صَوتِ النّبي كما جاء ذلك في صحيح البخاري ومُسلم إذ قال البخاري: كادَ الخَيِّران أنْ يَهلَكا أبو بكر وعمر في رفع اصواتَهُما فوق صوت النبي[1] فنزل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2].

وإذا كان الله عزّ وجلَّ قد هدَّد كلّ الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر بمجرّد رفع الصوتِ فوق صوتِ النّبي أن يُحبِطَ كلّ أعمالهم فلا يقبلها والقرآن يُعلمنا بأنّ من يحبط عمله فمصيره إلى النار وبئس القرار.

وإذا كان هذا حالُ من رفع صوتَه فقط فكيف بمن طَعَن في عصمته وشكّك في نبوّته وتسبّب في غضبِهِ حتّى أطردَهُم من منزله بأبي هو وأمّي.

---

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 3262 ـ 3550 .

(2) الحجرات آية 2.

وَلا لوم على أهل السنّة الذين تتلمذُوا على أساتذةٍ تخرّجوا من مدرسة السّقيفة التي بَرعت في قلبِ الحقائق رأسًا على عقب.

ولكنّ لَومي على الباحثين المتعلّمين في هذا العصر كيف لا يكتشفون زَيف المُنحرفينَ ولا يتدبَّرون القرآن والأحاديث الصّحيحة للوصول إلى الحقيقة.

وعزَائي أنّ البعضَ منهم بَدأ يتحرَّر من ذلك التُّراث الهزيل الذي سطَّره الأقدَمون بأقلام مأجورةٍ وأصبحنا نَسمعُ في الفَضائيّات المِصريَّة وغيرها بعض المواقف التي تُبشّرُ بالخير وتُعلن عن صَحوَةٍ محمودةٍ واستبصار لركوب سفينة النجاة والتَّمسّك بكتاب الله وعترة المصطفى صلى الله عليه وآله.

فهل سيرضَى اللهُ على هذه الأمّة بعد الغضب؟

ومتى سيكون رضاهُ؟

وكيف لنا معرفةُ ذلك؟

والجواب على كلّ ذلك فيما سيأتي من الأبحاث إن شاء الله تعالى.

هل سَيرضى الله على هذه الأمّة بعد الغضب؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لا بُدّ أن نتأكّد من غضبه سُبحانه وتعالى على الأمّة وما هوَ موجِبُ ذلك الغَضب؟

قدّمنا في مَا سبق من أبحاثٍ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تُوفّي وهو غاضِبٌ على المواقِف التي وقفها جُلُّ أصحابه من أوَامرهِ وتَدبيرهِ لمنع الأمّة من الضلالة في يوم الخميس وكذلك في الأيّام الثلاثة الباقية من عُمرهِ إذْ خطَّط بأمر ربّه لبعْث أسَامة فطعنوا في تأميره وتثَاقلوا حتّى وصل الأمر إلى لَعنهم بقوله: «**لَعَنَ اللهُ مَن تخلّفَ عن جيش أسامة**»، وهذه الرواية ثابتةٌ من طَريق أهل البيت عليهم السلام ولكن كالعادة التي توخّيتُها في كتبي وهي إستدلالي بروايات أهل السنّة والجماعة حتّى تكون الحجّة أبْلَغ.

فقد روى هذه الرواية من علمائهم الإمام الشريف الجرجاني في كتابه «شرح المواقف في علم الكلام».

وكذلك الإمام الشهرستاني في كتابه «الملل والنّحل، ص 6، الطبعة الأولى المصريّة، وفي صفحة 30 طبع دار المعرفة».

وكذلك أخرج هذه الرواية الحاكم الحسْكاني الحنفي في كتابه «شواهد التنزيل» رقم 3380 من الجزء الأول.

لكلّ هذا نجزمُ بأنّه صلى الله عليه وآله ماتَ غاضبًا مُتحسِّرًا على أمّته التي قضى حياتَه في خدمَتِها فإذا بها تتنكّرُ لَه فترفضُ كلّ أوامره وتعاليمه في آخر حياته.

وأُضيفُ لما تقدّمَ أنّهم لم يُعبّروه حتّى بعد وفاته، فلم يحضرُوا جنازته فضلًا عن تغسيله وتكفينه ودَفْنِه وانشغلُوا بإتمام المؤامرة في سقيفَة بني ساعدة المشؤومة.

ولم يكتفُو بعدُ بالإساءة إليه بل أسَاؤُوا إلى بَضْعَته الزّهراء سلام الله عليها وكان ما كان من أحداث تنهدُّ لهَولِها الجبالْ وتُوفّيتْ هي الأخرى وهي غاضبةٌ على هذه الأمّة الظّالمة وقد قال أبوها في صحيح الحديث بأنّ الله يغضبُ لِغَضبِها ويَرضَى لرضَاها[1].

وإذا كان الأمر كذلك فقد باؤوا بغضبٍ على غضب ﴿وَلَا

(1) رواه الحاكم في المستدرك، ج 3، ص 154، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه وأخرجه الطبراني وإسناده حسن كما جاء في كتاب مجمع الزوائد.

تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[1].

اللّهمَّ إهدِنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغْضوبِ عليهَم ولا الضّالّينَ.

سيقول بعض المعارضين: لِماذا كلّ هذا التحامل من الشيعة على عمر ابن الخطاب من بين الرّجال وعلى أمّ المؤمنين عائشة من بين النّساء؟

ونحنُ نردُّ عليهم نفسَ السُّؤال ونقول:

لماذا إنصبّ سخطُ الشيعَة كلّه على عمر ابن الخطاب بالرغم من وجود المنافقين بين أصحاب النبيﷺ الذين بلغ عددهم مائة وعشرون ألف صحابي؟

ولماذا انصبّ سخطُ الشيعة كلّهُ على أمِّ المؤمنين عائشة بالرغم من أنّ أمّهات المؤمنين كثيرات وعددهنّ تسْعة بعد وفاتهﷺ؟

والجواب أنّ عمر ابن الخطّاب هو الشخص الوحيد الذي كان يقِفُ بوجه النبيّ ويُعارضه بكلّ جُرأةٍ وسوء أدبٍ وهو الذي طعن

(1) إبراهيم آية 42.

في عصمة الرسول وشكّك في نبوّته، وهو الذي منع رسول الله من كتابة وصّيته التي تعْصِمُ الأمّة من الضلالةِ وهو الذي إتّهم رسول الله بالهذيان حتّى في تأميره لأسامة بن زيد لقيادة الجيش الذي عيّنهُ في آخر أيّامه، وهو الذي تآمَرَ على إقصاء علي بن أبي طالب الذي استخلفه النّبي صلى الله عليه وآله على الأمّة بعد موته، وهو الذي شيّد وأسّس خلافة أبي بكر بالقوّة والقهر.

وهو الذي هاجم بيت الزهراء وهدّدها بالحرق.

وهو الذي هدّد علي بالقتل إن لم يُبايع أبا بكر.

وهو الذي أسقطَ جنين الزّهراء الذي سمّاه النّبي «مُحسِن» تشبيهًا لأولاد علي بأولاد هارون شبر وشبير ومشبر، فسمّى أولاد علي: حسنٌ وحسينٌ ومحسنٌ، فكان نصيبُ المحسن هو القتل في بطن أمّه.

وهو الذي عَيّنَ خمسَة من الصّحابة الذين كان يعلَمُ بغضهم وحسدَهُم لعلي (ما عدا الزبير) وهذا من دَهائهِ لأنّه رجّح كفّة عبد الرحمن بن عوف شريكه في التآمُر بقوله: إذا اختلفتم فكونوا مع ابن عوف.

وتُريدونَ بعد كلّ هذا أنْ يترضّى عنه الشّيعة الذين إتّبَعُوا أهل

البيت وعرفوا حقّ الله فيهم.

كذلك بالنّسبة لأمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، لماذا لم يتكلّم الشّيعة في أيّ واحدة من زوجات النبيﷺ لأنّها هي سبب كلّ المصائب التي حلّت بالمسلمين.

أوليستْ هي التي جرّعت رسول الله الغُصص في حياته؟

أوليستْ هي ا لتي كانتْ تقفُ بوجه الرَّسول في غير حياء ولا إحترام وتقول له: أنتَ الذي تزعم أنّك رسول، وتقول له: تكلّم ولا تقُلْ إلاّ حقًّا، وتقول له: أرى ربّك يسارع في هواك.

أوليستْ هي التي تَشكّ في رسول الله حين يخرج من بيتها فتخرج وراءهُ وتتجسّس عليه ظنًّا منها أنّه سينام عند إحدى ضرّاتها.

أوليستْ هي التي تَظاهرتْ على رسول اللهﷺ حتَى نزل القرآن يُهدِّدها بالله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير.[1]

أوليستْ هي التي كانتْ تُعارِضْ الرسول في مدحه لِخديجة سلام الله عليها حتّى تغضبُه وكانت كثيرة الغيرة من ضرّاتها إلى

(1) التحريم، آية 4.

درجة الهستيريا، فكانتْ تكسرُ الأواني وتكبُّ الطعام بحضرته إذا أرسلتْ إحدى أمّهات المؤمنين إليه طعامًا.

أوليستْ هي التي هدَّدها الله بالطلاق من رسولهِ ليبدلهُ خيرٌ منها في الإيمان والتقوى والصّلاح.

أوليستْ هي التي ضرب الله لها مثلًا لامرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ اللّتان إستوجبتا دخول النّار لخيانة زوجيهما.

أوليستْ هي التي أمرها الله بالإستقرار في بيتها بقوله ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ فعصَتْ أمرَ ربّها وخرجتْ محاربةً لإمام زمانها علي بن أبي طالب.

أوليستْ هي التي نهاهَا رسول الله عن ركوب الجمل حتّى تنبحُها كلاب الحوأب، فعصتْ أمره وركبتْ الجمل ونبحتها كلاب الحوأب.

أوليستْ هي التي فرحتْ لمقتل عثمان ولمّا علمتْ بأنّ عليًّا بايعَه المسلمون بالخلافة فغضبت لذلك وقالت: وددت لو السماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب.

أوليستْ هي التي ألَّبَتْ أوباش العرب على علي وقادتْ جيشًا جرّارًا لمحاربة أمير المؤمنين الذي بايعهُ المهاجرون والأنصار.

أوليستْ هي التي أباحتْ لجيشها بيت مال المسلمين في البصرة وقتلتْ أربعمائة مسلم صبرًا ذُبِحوا كالنّعاج بحضورها حتّى إضطرّ أمير المؤمنين للخروج إلى البصرة، فكانت حرب الجمل التي بقيتْ آثارها على مرّ السنين والأعوام والتي قُتِلَ فيها من المسلمين ما يزيد عن عشرين ألف حسبما جاء في الرّوايات.

أوليستْ هي مَن منعتْ دفن الإمام الحسن بجوار جدّه، وركبت بغلة وهي تصيح مستنفرةً بني أميّة لحرب بني هاشم قائلةً: لا تُدخِلوا بيتي من لا أحبّ، حتّى قال لها ابن عبّاس:

تجمّلتِ وتبغّلتِ وإن طال عمركِ تفيَّلتِ

سَهْمُكِ ثمنُ التّسْع وبالكلّ تصرّفتِ

أوليستْ هي من كانت تبغضُ عليًّا إلى درجة أنّها كانت لا تُطيقُ ذكر اسمه فتقول: خرج رسول الله يتهادى بين رجلين أحدهما ابن عبّاس والثاني لا أذكر اسمه، فيقول ابن عبّاس إنّه عليّ بن أبي طالب وإنّ عائشة لا تطيب له نفساً.

أوليستْ هي من حذّر رسول الله المسلمين من فتنتها لمّا أشار إلى بيتها قائلاً: ها هنا الفتنة هاهنا الفتنة حيث يَطلعُ قرنُ الشيطان.

أوليستْ هي التي حذّر منها الصَّحابي الجليل عمّار بن ياسر جاء

في صحيح البخاري: لمّا سار طلحة والزّبير وعائشة إلى البصرة، بعث عليٌّ عمّار بن ياسر وحسن بن علي، فقدِما علينا الكوفة فصعد المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاهُ وقام عمّار أسفلَ من الحسن، فاجتمعا إليه، فسمعتُ عمّار يقولُ:

إنّ عائشة قد سارتْ إلى البصرة ووالله إنّها لزوجةُ نبيّكم صلى الله عليه وآله في الدنيا و«الآخرة»، ولكنّ اللهَ تبارك وتعالى إبتَلاكُمْ، ليعْلَمَ إيَّاهْ تُطيعُونَ أم هيَ». (1)

أوليستْ هي التي لمّا سمعتْ بمقتل عليّ في الكوفة على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم فرحتْ فرحًا شديدًا وسجدت شكرًا للّه.

وتريدون بعد كلّ هذا أنْ يترضّى عنها الشّيعة الذينَ إتّبعوا أهل بيت العِصْمة والتُّقى فكانوا حرْبٌ على من حاربَهم وسِلْمٌ لمن سالَمَهُمْ أولياءُ لمن والاهُمْ وأعداءٌ لمن عاداهم وهذا هو الإسلام المحمّدي في عقائده السّليمة.

وما لنا والإسلام الذي أفرزتْهُ السّقيفة والذي إختلط فيه الحابل

(1) صحيح البخاري، رقم الحديث 7100.

بالنابل والحقّ بالباطل، والصّدقُ بالكذب، ظلمات بَعضُها فوقَ بعض إذا أخرجْت يدك لا تكد تراها وتختلط عليك السُّبل فلا تدري أيُّها تسْلك.

وبالعودة إلى الموضوع وهل سيرضى اللهُ بعد الغضب نقول بأنّ الله لطيفٌ بعباده ويريدُ بهم اليُسر ولا يريد بهم العسر وما جعل عليهم في الدّين من حرج، ولا يكلّف نفسًا إلّا وسْعها، ولا يحمّلُ إنسانًا فوق طاقتِه، وإنّه غفورٌ رحيمٌ، ورحمتهُ وَسِعَت كلّ شيء وفوق كلّ ذلك فهو سريع الرضا.

لكلّ ذلك فإنّه سيَرضى عن الأمّة عندما تتُوبُ الأمّة إلى رشدِها وترجعُ عن غيّها وتتمسّك بالحبل المتين المتمثِّل في الكتاب والعترة وتركبُ سفينة النَّجاة.

وقد بدأ هذا التحوُّل الملْحوظ في كلّ أركان المعمورة وبدأ المسلمون يكتشفون زيفَ مذاهب السَّقيفة وحقيقة الإسلام المحمّدي المتمثّل في نهج أهل البيت عليهم السلام.

ويكفي أن تعرف أنّ المستبصرين المتحوّلون من السنّة إلى الشيعة أصبح عددهم بعشرات الملايين في أفريقيا وحدها وأكثر من ذلك في البلدان الإسلامية الأخرى.

وما عليك إلّا أن تسمع صيحات علماء السنّة في كلّ الفضائيّات وهم ينادون: أدركوا السنّة يا عباد الله، وآخر يصيح: السنّة تشيّعوا، وثالثٌ يبكي للمصيبة التي أصابت مدينته كلّها أصبحتْ شيعة، ورابع يُحذّر من تشيّع أغلب سكّان المغرب.

وهذا كلّه يُبشّر بخير كبير حتّى أنّه سُجلَ خطابًا كاملًا للرئيس المرحوم معمّر القذّافي الذي اعترف خلاله من أنّ الشيعة هم على الحقّ وأنّ أهل البيت أولى بالإتباع وأنّه عرف مكايد المنافقين الذين كانوا يُموّهون علينا بأنّ أهل السنّة هم العرب وأنّ الشّيعة هم الفرس الإيرانيون واكتشف القذّافي بأنّ الشيعة هم أقحاح العرب من وقت سيّدنا عليّ بن أبي طالب وعاصمة الشيعة هي الكوفة بالعراق وليستْ طهران بايران.

فكلّما إزْداد عدَدُ المستبصرين الذين إهتدوا إلى الحقّ كلّما إقترب عصر الظهور.

فظهور الإمام المهدي عليه السلام مرتبطٌ بكثرة الموالين والمؤيّدين له الذين عرفوا حقّه وحقّ آباءه وأجداده ليبايعوه على الجهاد في سبيل الله ويَموتوا دونه كما بايَع الأنصارُ جدّه رسول الله تحت الشّجرة فعلم الله ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا

قريباً.

من أجل ذلك سُـمّي الإمـام الحجّـة بـالمنتظَرْ يعنـي كـلّ النـاس ينتظرون خروجه ليسْعَدوا به.

والبعض يذهبْ لتسميته بالإمام المُنتظِرْ يعني أنّه هو الذي ينتَظِـر رجوعنا إلى الحقّ والتمسّك بالكتاب والعترة.

المُمَهِّدُونَ لِلْمهدي عليه السلام

أعجبني هذا العنوان الذي أخذته من كتابٍ ألَّفه الشّيخ الجليل علي الكُوراني العاملي والذي يشير من خلاله بأنّ من الذين سَيُمهِّدون لعصْر الظهور هم الإيرانيون الذين فجّرُوا ثورةً أطاحتْ بنظام الشّاه وأفرزتْ جُمهوريّة إسلاميّة ستكون بفضل الله تعالى دولة المهدي المستقبلية.

وهذا يذكّرني بما حدث لي شخصيًّا مع أحد كبار عُلماء جامعة الزيتونة من تونس.

كنت وَقْتها مُقيمًا في باريس العاصمة الفرنسية واتّصل بي أحد الشبّان من الحركة الإسلامية وأعلمني بأنّ والدهُ يتلهَّفُ لزيارة الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران وطلب منّي مُصاحبتهُ إلى هناك لعلمه مسبقًا بأنّي على علاقة بالإمام الخميني ورجال الثورة.

سألته من هو والده؟

أجاب: هو الشيخ محمّد الصَّالح النّيفر.

قلتُ: هو الشيخ النّيفر المشهور في كلّ الأوساط العلمية؟

قال: نعم وأنا إبنه أعيش هُنا في باريس وأدير وكالةً للأسفار وقبلتُ طلبه واتّفقنا على موعدٍ قريبٍ ريثما يَستَقْدمُ والدَهُ من تونس إلى باريس لتكون رحلتي معه إلى إيران.

وجاء يومُ السفر وشيّعنا إبنهُ إلى المطار، وهناك أعلمني بأنّ والدهُ يشتكي حُرقة في أطراف رجليه وأعطاني مرهمًا وطلب منّي تدليك قدميه وقتَ ما يطلب منّي والدُهُ.

قلتُ له: إطمئن فَوالدك هو وَالدي وسأخدمه أكثر منك وفي الحقيقة كنتُ أسمع به فالشيخ محمّد الصالح النّيفر من العلماء المشهورين في تونس، عندما قابلتهُ في باريس صحبة ولده رأيت شيخًا وَسيمًا ذا هيبةٍ ووقارٍ ناهز الثمانين من عمره فازددتُ لهُ إعجابًا واحترامًا.

جلسنا في الطائرة جنبًا إلى جنب وكان ذراعي ملاصقاً ذراعهُ وكانت الرحلة من باريس إلى طهران تستغرق ستّ ساعات وفاتحني بحديث فاجئني به قائلًا:

ـ أسمعُ عن التيجاني السَّماوي أنّه تحوّل من السنّة إلى الشّيعة

فهل هذا صحيح؟

ـ قُلتُ: نعم صحيح، فهل عندكم إعتراضٌ سيّدي؟

ـ قال: لا إعتراض فأنتَ حُرّ، لكن ما الذي دعاك لترك مذهب الإمام مالك واتّباع الشيعة؟

ـ قلت: أنا أسألك يا حضرة الشّيخ، هل أخذ الإمام مالك علمَهُ من رسول الله؟ وأنتَ أعلمُ منّي لأنّك من علماء المالكيّة!

ـ قال: لا إنّه تتلمذَ على الإمام أبي حنيفة ولكنّه فاقَ عليه في العلم.

ـ قلتُ: أنا تشيّعت لما عرفتُ بأنّ الشّيعة يُقلّدونَ الإمام علي بن أبي طالب الذي ربّاه رسول الله وأعدّهُ ليكون مرجع المسلمين من بعده.

قال: لا أشكُّ في أنّ سيّدنا علي كرّم الله وجههُ هو باب مدينة العلم ولكن نحنُ نقلّدُ رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ شيءٍ.

ـ قلتُ: كلّ المسلمين يقلّدُون رسول الله كما تفضّلتَ فلا خلاف في ذلك، ولكن الخلافُ وقع من بعده، فأيّ الأئمّة يرجعُ إليه المسلمون بعد وفاة النبي، فالشيعة رجعوا إلى الإمام علي والسنّة رجعوا إلى الأئمّة الأربعة المعروفين.

ـ قالَ: هل تشكّ في علم الأئمّة الأربعة؟

ـ قلتُ: ليس همّي أنا هو الشكّ في علمهم أو في عملهم، ولكن همّي هو من أولى بالتقليد والإتباع تلميذ رسول الله المباشر أم شخصٌ ولد بعد الفتنة بعدما اختلط على النّاس دينهم؟

ـ قال: إذا كنتُ مُنصِفًا وعقلانيًّا فسأوافقك على ما تفضّلت به وأنا لستُ من المتعصّبين ولذلك إتّخذْت هذا القرار الخطير.

ـ قلتُ متعجّبًا: ما هو القرار الخطير الذي إتّخذتهُ يا سيّدي؟

ـ قال: سفري إلى إيران لمُبايعة الإمام الخميني رغم إعتراض أغلب علماء الزيتونة على قراري.

فرحتُ لقوله بأنّه يريد مبايعة الإمام الخميني فسألتهُ:

ـ لماذا مُبايعة الإمام الخميني؟

ـ فقال: أنا مقتنعٌ بالحديث القائل: من مات وليس في عُنقه بيعة إمامٍ ماتَ ميتةً جاهلية، وإنّي لحدّ الآن وأنا أبحث عن إمام فلم أجد أفضل من الخميني الذي أحدث ثورة إسلاميّة لم يُسجّل التّاريخُ مثلها وأنا الآن عمري إحدى وثمانين عامًا وأخاف أن أموت بلا بيعة.

ـ قلتُ: طبعًا أنت تعلم بأنّ الإمام الخميني هو شيعي؟

ـ قال: على كلّ الأحوال فإنّي أعتقدُ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يبعث الله على رأس كلّ مائة سنة رجُلٌ يُجدّد للأمّة معالم دينها، وهذا الرجل قد بعث في الأمّة الإسلاميّة كلّها صحوةً لا حدّ لها فهو بلا شك الرّجل المقصّود.

إزدادَ فرحي وحُبّي واحترامي لَه أكثر، ولم تنتَهِ الرِّحلة إلّا وأنا دَاعيًا لَه بمزيد التّوفيق والهِداية.

نزلنا في مطار طهران مهرباد الدّولي وهناك إستقبلنا جمع من حرّاس الثورة الذين كلِّفُوا باستقبال الضّيوف الذين سيحضرون أوّل مؤتمر إسلامي للوحدة بين المسلمين وأدخلونا إلى قاعة V.I.P لتناول بعض المرطّبات والمشروبات.

نزلنا في فندق إستقلال الذي كان يُسمّى في ما مضى هوتيل «هيلتون» وكنتُ في غرفةٍ بجانب غرفة الشيخ النّيفر لأتمكّن من زيارته من حينٍ لآخر لأمسّد رجليه بالمرهم كما أوصاني إبنَهُ وتوطّدت علاقتنا أكثر وأصبح الشّيخ لا يريدُ مفارقتي إلّا وقت النّوم.

أعلمنا المسؤولون عن المؤتمر بأننا سنَزور غدًا بإذن الله الإمام الخميني وأوصونا بترك التلفونات والساعات المحمولة في الغرف.

تلك اللّيلة نزل الغيث وامتلأت طهران بالثّلوج ولمّا أصبحنا وخرجنا لركوب الحافلات لم نلاحظ كثرة الثلوج لأنّهم أزالوها من طريق الضّيوف.

ولمّا وصلنا إلى جماران مقرّ الإمام ونزلنا من الحافلات وإذا بالثلوج تغطّي الأرجل ونزلتُ ممسكًا بالشيخ وأعانني أحد الحرّاس فأخذ بيد الشيخ من الجانب الثّاني ومشينا قليلًا بين جموع الإيرانيين الذين يحملون أعْلاماً سوداً وهم يَهتفون:

ـ لا شيعيّة لا سنّيّة وِحْدة وِحْدة إسْلاميّة.

ولاحظتُ دموع الشيخ تنزلُ على خدّيه ولحيته البيضاء بلون الثّلج، تأمّلت قليلًا إنّه يبكي بالفعل.

وظننتُ بدايةً أنّ الألم من شدّة البرد ووجع رجليه هو سببُ بكاءِه فقلتُ مُسْرعًا:

ـ سيّدي أتُريد أن أعود بك إلَى الفندق لتستريح؟

ـ فقال: لا لا إمشي ولا تتوقَّف، فواصلتُ المسير وإذا به يقول: كَم كنتُ أقرأ في صحيح البخاري حديثًا يبدو لي غريبًا ولم أفهم مَعناه إلّا في هذا اليوم.

ودَفَعني فضولي لمعرفة الحديث الذي سبّبَ بكاء الشيخ النَّيْفر،

سألتُه: سيدي الفاضل ما هو هذا الحديث الذي أبكاك؟

ـ أجابني قائلًا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إذا رأيتُم الرَّايات السُّود أقبلتْ من قبل المشرق فأتوها وبَايعُوها ولو حبوًا على الثلج» وكنت دائمًا أتساءل وأقول: هل سيصبّ الثلج في الجزيرة العربيّة؟ واليوم فَهِمْتُ أنّ الرَّسول كان يقصد هذا المكان بالذّات وهاهيَ الرّايات السّود أمامنا تهتفُ بالعودة للإسلام الأصيل.

ثمّ أردفَ يقول: مَتى سنَرى الإمام الخميني لنُبايعهُ؟

ـ قلتُ: مهلًا يا فضيلة الشّيخ سنرى الإمام بعد قليل ليلقي خطابه ولا نقدر على الوصول إليه من كثرة الضيوف، ولكن بعد نهاية الخطبة ورجوع الزوّار سَنحاول بحول الله تعالى زيارتَه في بيته بعيدًا عن النّاس وهناك سنتكلّم معه مباشرة.

وبالفعل بعد إنتهاء اللّقاء وتوجّه الضّيوف للحافلات التي كانتْ بعيدة عن الحسينيّة طرقتُ باب السّكن وخرج شخصٌ لم يَعرفني فسألته عن السيّد أحمد وعرّفته بنفسي فغاب دقيقتين ثمّ عاد ومعه السيّد أحمد فرحّب بي وهمستُ في أذنيه بأنّ الشيخ من أكبر علماء السنّة في تونس يريدُ مبايعة الإمام فالرجاء لا تردّوهُ خائبًا.

تردّد قليلًا ثمّ فتح الباب كلّه فأدخلنا قائلًا: رجاءً لا تطيلُوا الكلام

مع الإمام لأنّه تعبَ كثيرًا ويريد أن ينام.

دخلنا على الإمام بكلّ إحترام وقدّمنا الشّيخ النّيفر وانكبّ الشيخ يقبّل يدي الإمام الذي إنشرح له وتبسّم في وجهه ومسح على لحيتهِ وشكرني على صحبته وخدمتهِ.

فرح الشّيخ النّيفر كثيرًا حتّى أنّه تلعثم في كلامه ومدّ يده للإمام مصافحًا وهو يقول: ألحمد لله الذي مدّ في أنفاسي حتّى ألقاك وأُبايعك وأسأل الله أن يُطيل عمرك حتّى توصل هذه الثورة المباركة إلى النجاح والنّصر على كلّ أعداء الإسلام.

غمزني السيّد أحمد، فهمتُ قصده، فاعتذرتُ من الإمام وغمزتُ بدوري الشيخ النّيفر وخرجنا تغمرنا فرحة كبيرة لرؤية الإمام ومصافحته من دون كلّ الضّيوف الذين قدِمُوا من كلّ الأقطار الدّولية. شكرني الشّيخ النّيفر قائلًا: سوف لن أنسى لك هذه المزيّة ما دمتُ حيًّا.

رجعنا إلى الفندق وأصبحنا صديقين حَميمين لا نفترق وأجريتُ له مقابلة مع الشيخ رفسنجاني الذي رحّب به كثيرًا وكذلك بعض الشخصيّات السّياسية أمثال علي أكبر ولايتي والسيّد هادي خامنئي والشيخ محمّد علي التسخيري، ولم يرجع إلى تونس

إلا وقد تشبّع بِفكر أهل البيت عليهم السلام.

وأعلمني إبنَه بأنّه وقبل وفاته رحمه الله كان يتوضّأ وضُوء أهل البيت ويصلّي صلاتهم وكانت أمنيتُه الوحيدة أن يعيش حتّى يَرى الإمام المهْدي ويدْعُو دائمًا بدُعاء الفرج.

هذا أنموذج من نماذج العُلماء المنفتحين الذينَ وإن بقوا على مذاهبهم ظاهريًّا ولكنّهم يَتَعاطفون مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية ويتعاطفون مع حزب الله اللبناني ويحبّون السيّد حسن نصر الله وإذا ما سُئلوا: هل أنتُم شيعة؟ فيقولون تقيّةً: نحن لَسْنا شيعة وإنّما نحن نحبُّ أهل البيت النّبوي فحسب.

سألت أحدهم: لماذا تُخفُونَ تشيُّعكم وتدَّعون محبّة أهل البيت فقط؟ أجابني:

ـ لو نعترف بأنّنا تشيّعنا فإنّهم سيَسْتَبيحُونَ دِماءَنا لأن السّنّي الذي يتشيّع يعتبرونه مرتدًّا وحكم المرتدّ عندهم هو القتل واستباحة زوجته كسبيّةٍ.

وهم في ذلك يُقلّدونَ سَلفهم الصّالح سيّدهم خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة الذي أبى أن يدفع الزكاة لأبي بكر فاعتبرهُ مرتدًّا وقَتَله واغتصب زوجته في نفس اللّيلة!!

وهو عين ما فعله الدّواعش في الشّيعة بإسم الإسلام، نعم إنّهم تخرّجوا من تلك المدرسة الشّنيعة مدرسة الإرهاب والقتل الجماعي، مدرسة السّقيفة التي لا زال فسادُها يَسري في الأمّة إلى هذا العصر.

وهل غاب عنكم ما فعله أحدُهم الذي أخرج قلب أحد الضحايا وأكله تحتَ عَدَسات الكاميرا ونقلته كلّ الفضائيّات العالميّة أثناء الحرب الكونية على سوريا؟

إنّها نفس المدرسة التي تخرّجت منها هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان أم معاوية التي سُمّيتْ عبر التّاريخ بآكلة الأكباد لأنّها شقّت صدر حمزة وأكلتْ كَبِدَهُ.

وإنّها نفس المدرسة التي تخرّج منها قتلةُ أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين بعد قتله وحزّ رأسه الشريف إنتخبوا الخيول التي داستْ على جسده الشّريف لِرَضّ عظامه.

ألا لعنَةُ الله وملائكته والنّاس أجمعين على الظّالمين من الأوّلين والآخرين الذين ظلموا محمّدًا وآل محمّد لَعنةً يتعوّذ منها أهل النّارِ جميعًا.

الحركات الإسلامية في العالم تستبشر بالمهدي عليه السلام بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران

لقد أحدثتْ الثورة الإسلامية الإيرانيّة زلزالاً قويّاً في كلّ أنحاء العالم خُصوصًا في البلدان العربية والإسلامية وسُمّي عام 1979 ميلادي عام الصّحوة الإسلامية وانْتُخِب الإمام الخميني رحمه الله رَجل العام في كلّ العالم وتحدّثتْ وسائل الإعلام عن الثّورة وقائدها بكل فخر واعتزازٍ وبكلّ عبارات المودّة والإعجاب.

حتّى أنّ حركة الإخوان في تونس بإسم الإتجاه الإسلامي صوّرت الإمام الخميني على غلافها وهو يكسر القُضبان الحديدية بيديه ويطلق سراح حمامة الحرّية وصورة أخرى تُمثّل الإمام الخميني وهو يطْردُ شاهنشاه إيران الذي مثل صورة الشّيطان الأكبر وهو ملفوف في علم الولايات المتحدة الأمريكية.

وكتبوا من جملة المقالات التي لا زِلْتُ أذكُرها تحت عنوان:

الرَّسول صلى الله عليه وآله ينتخبُ إيران للقيادة في مقالة مُطوّلة إستدلّوا من خلالها بحديث النّبي صلى الله عليه وآله الذي أخرجه مسلم في صحيحه ومسانيد أهل السنّة والجماعة يقول فيه:

عندما نزل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

قال إلتفتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ بكتف سلمان الفارسي وقال: من قوم هذا يخرج هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى.[2]

وبدأ الناس في كلّ مكان يتحدّثون عن إيران وثورتها وعن قائدها بكل إعجاب وتقدير.

لكن بمجرّد ما تدخل الطّلبة الإيرانيّون وهجَموا على وكر التجسّس في السفارة الأمريكية بطهران وأخذوا الجواسيس كرهائن وطلبوا إرجاع الأموال المودعة في البنوك الأمريكية والتي

---

(1) المائدة آية 54.

(2) مستدرك الحاكم.

نهبها الشاه من الشعب الإيراني وحوّلها إلى أمريكا عند ذلك جنَّدتْ أمريكا عُملاءَها في كلّ الأوطان وبذلت أموالًا طائلةً فانْقلبتْ الحركات الإسلامية من مدحٍ وإطراء إلى قدحٍ وتشكيك مدّعين بأنّ الثّورة ليست إسلامية وإنّما هي ثورة شيعية.

وانتشر علماء السَّلفية والوهابية في المساجد ليشكّكُوا النّاس بأنّهم خدِعوا بهذه الثورة ظنًّا منهم بأنّها إسلاميّة فإذا بها ثورةٌ شيعية والدليل على ذلك أنّ المذهب الذي أقرَّهُ البرلمان الإيراني هو المذهب الجعفري.

ثمّ بدأوا في بث الإشاعات الكاذبة عن الشّيعة الذين يريدُون تحويل الكعبة إلى قم المقدّسة ليكون الحجّ هناك وافتراءات أخرى لا فائدة في ذكرها.

والمهمّ أنّ الشّيطان الأكبر نجحَ في تحويل الحركات الإسلامية من المُوالية إلى المعادية للثورة الإسْلامية في إيران.

وأصبح كلامهم السابق عن المهدي المنتظر بأنّه خرافة شيعيّة لا أساس له من الصحّة.

بل نجحتْ أمريكا في تحويل الدُّول العربيّة والإسلاميّة من عداوة إسرائيل إلى عداوة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

يا سبحان الله إسرائيل المغتصبة لأرض فلسطين والقدس والجولان تُصْبحُ صديقةً لهم ويُطبِّعُون معها العلاقات.

أمّا الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي تحارِبُ أمريكا والغرب كلّه من أجل إنتصار فلسطين، وهي التي أطردت إسرائيل من طهران وأهدتْ سفارتها إلى الفلسطينيّين، وهي قائمة رغم الحصار المضروب عليها من أمريكا والغرب، قائمة بحكومتها وشعبها وكلّ أمكانيتها لمساعدة الحركات المقاومة للإحتلال الإسرائيلي، هذه أصبحت هي العدوّ.

ولكن لا يُستْغرَبُ من مدرسة السَّقيفة أنْ تُقَلَّبَ الحقائق ليصبح الباطلُ حقًّا والحقُّ يصْبحُ باطلًا والعدوُّ صديقًا وحبيبًا والصّديقُ عدوٌّ بغيض.

ففي حين تُطبّعُ بعض الدّول العربية والإسلامية علاقات وديّة مع العدوّ الإسرائيلي تقطعُ بعض الدّول العربية علاقاتها مع الجمهورية الإسلامية أمثال المغرب والسودان والسّعودية.

وقد إفتضح أمر هؤلاءِ عند كلّ المسلمين بعد ما كشفَ الرّئيس الأمريكي (دونالد ترامب) أمرهم عندما صرّح أمام كلّ العالم قائلًا:

«إتَّصلتُ بملك السّعودية وقلتُ له: إدفع لنا الفُلوس لنُوفّرْ لك

الحماية ونُحافِظ على عرشك، فلولا حمايتنا لكم ما بقيتمُ في الحُكم أسبوعًا واحدًا».

ومن خلال هذا التصريح عَرَف المسلمون مَدى الذلّ والتبعيّة والعَمالَة لهذه الدّول للشّيطان الأكبر ولإسرائيل دولة الإرهاب التي تعيش وتتوسّع بمُساعدة الأموال التي تأتيها من الدُّول الخليجية وتراهم يسارعون ويتنافسون لكَسْبِ رضا أمريكا وإسرائيل.

وقد جاء في القرآن الكريم الحكم على هؤلاء بكلّ وضوح فقال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

لقد تولّى هؤلاء اليَهود وهم إسرائيل والنّصارى وهم أمريكا. وقوله سبحانه وتعالى **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾** فقد حكم الله عليهم بأنّهم أصبحوا يَهودًا أو نصارى وليْسوا بمؤمنين والإسلام بَريءٌ منهم ولا يعترفُ بهم.

لا شكَّ أنّ هؤلاء سيكونون أعداءً للإمام المهدي عليه السلام ولو

(1) المائدة آية 51.

خرج الآن لحاربوهُ، ولذلك تراهم اليوم يحاربون المسلمينَ في اليمن وفي سوريا وفي ليبيا وفي العراق لتنعَم إسرائيل بالأمن والأمانْ فهم الذين يُعاونون اليهود والنّصارى على قتل المسلمين في كلّ مكان من العالم ويبذلون في سبيل ذلك الأموال الطّائلة بينما تعيشُ بعض الدّولِ العربية الفقر والإفلاسَ وغارقة في الدّيون فلا يُساعدونَهم.

ونُلاحظ بأنّ الآية خُتمت بقوله سبحانَه وتعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

فهي دَليلٌ آخر بأنّ هؤلاء الذينَ يُساعدونَ اليهودَ والنّصارى هُم ظالمونَ بلا شكّ ولا خلاف.

وإذا رجعنا إلى تاريخ أبطال السَّقيفة الظّالمة سنجدهم هم أيْضًا تولَّوا اليهُود والنّصارى.

فقد سجّل التاريخ أنّ عمر بن الخطّاب ومن بعده عثمان بن عفّان منعوا الصَّحابة من نقل حديث النبي صلى الله عليه وآله وسمَحوا لكعب الأحبار اليهودي ولتميم الذاري ووهب بن منبّه من النّصارى أن يرووا كلّ تراثهم من الإسرائيليات التي أفسدوا بها عقائد المسلمين فالتّاريخ يُعيد نفسه كما يقولون.

ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

إدّعاءُ لقاء أو مشاهدة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

لقد إدّعى الكثيرونَ عبر التاريخ أنّهم إلتقوا بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والبعض ادّعى أنّ الإمام كلّفه بمهمّة فهو سفير الإمام ومنهم البابيّة الذي سُمّي رئيسهم بالباب.

ومنهم من إدّعى أنّه هو نفسه الإمام المنتظر ومن هؤلاء دجّال البصرة ودجّال اليمن ودجّال تونس وقديمًا إدّعى الجهيمان في مكة المكرمة أنّه المهدي وظهر دجّالٌ في السُّودان.

وبإختصار لو أحصينا المدّعين كذبًا وافتراءً بأنّهم الإمام المهدي لوجدناهم بالمئات.

ولكن بحمد الله تعالى كلّ هذه الدعوات والإدّعاءات كلّها باءتْ بالفشل ولم تثبت بل تبخّرت هباءً منثورًا.

وهناك إدّعاءٌ آخر من نوع ثانٍ وهو تقوُّل على بعض الشخصيّات السياسيّة الذين لا عِلمَ لهم بما يُنسَب إليهم، وأسُوق

بعض الأمثلة على ذلك:

أحد العلماء المعمّمين كان يروي لنا خلال الحرب العراقية الإيرانية بأنّ الإمام الخميني على إتصال مباشر بالإمام المهدي عليه السلام ويتلقّى منه الأوامر لقيادة الجيوش الإيرانية التي تسجّل انتصارات كبيرة على الجيوش العراقية البعثية.

وأضاف قائلًا:

إنّ الإمام الخميني وبأمرٍ من الإمام المهدي بعث لقيادة الجيش بأمرهم بالهجوم في هذه الليلة على الجيوش العراقية التي ستخلدُ إلى الرّاحة والنّوم وبالفعل لما هجم الجيش الإيراني في الليل وجدوهم نيام فلم يُمهلوهم وأخذوهم أسرى بدون قتال.

وكثيرًا ما كان بعضهم يقول: حدّثني من أثِقُ به من كبار الضُبّاط أنّهم كانوا يرون في الجبهة فارسًا على جواد أبيض يقودهم في المعارك فكان يأمرهم بترك هذا الطريق والمسير في ذاك الطّريق فينتصرون.

كذلك جاءت رواياتٌ أخرى تروي بأنّ السيّد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبناني كان هو الآخر يلتقي بالإمام المهدي عليه السلام وكان يقوده أثناء حربه ضدّ إسرائيل، وقد رويت في

ذلك معجزات لا تخطُر على بال.

كذلك بالنسبة للسيّد علي خامنئي قائد الثورة الإسلامية فهو أيضًا يلتقي يوميًّا بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو الذي يرشده وينصحه.

كذلك بالنّسبة لقائد الثورة اليمنية عبد الملك الحوثي يقال أنّه هو الآخر مجنّد من قبل الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ولم يخرج من هذه القاعدة إلّا بشّار الأسد الذي يعتقد البعض بأنّه هو قائد الجيش السفياني.

والواقع أنّه:

لا الإمام الخميني ولا السيّد علي الخامنئي ولا السيد حسن نصر الله ولا السيد عبد الملك الحوثي.

لا أحد من هؤلاء إدّعى أنّه على اتّصال بالإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف بصفةٍ مباشرة أو غير مُباشرة.

ولكنّها أقوال المحبّين والمعجبين التي لا حدود لها ولا حصر، وبعد كلّ ذلك سيبْدأ بعضهم يعدّ أصحاب الإمام ومعاونيه والذين هم مثل صحابة النبي صلى الله عليه وآله في غزوة بدر الكبرى وعددهم ثلاثمائة وثلاث عشر.

سيُتعِبون عقولهم وعقول من يستمع إليهم ولا يصلون أبدًا إلى

عدّهم وحصرهم ومعرفتهم.

ولا بأس بإعادة الوصيّة، وصيّة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى آخر سفراءه:

بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمّد السمّري، إسمع أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّتٌ ما بينك وبين ستّة أيّامٍ، فاجمع أمرك ولا توصِ لأحَدٍ ليقومَ مقامِكَ بعد وفاتِكَ.

فقد بدأت الغيبة التّامّة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكرهُ وذلك بعد طول الأمد، وقسْوة القلوب، وامتلاء الأرض ظلمًا وجورًا.

وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا من ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصَّيحة فهو كذّابٌ مُفتري، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

دّابّةُ الأرضِ

ذهبَ كثيرٌ من المفسّرين إلى أنّ دابّة الأرضِ التي وردتْ في قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[1].

قال بعضهم أنّ قبل ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يبعث اللهُ سبحانه دابّةً عجيبةً لها من الأشكال والألوان ما يبعثُ على الدهشة فهي في شكلها تشاركُ بعض الحيوانات البرّية والوحشيّة وبعضهم يقول أنّ المسيح الدّجّال يتّخذها مركبًا لهُ ويُظهِرُ للناس بعض الخوارق والمعجزات فيتبعُهُ خلقٌ كثير من الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم حتّى أنّهم يأخذون من فضلات الدّابة يتبرّكون بما تُفرزه

(1) النمل آية 82.

تلك الدّابّة. ويبقى المسيحُ الدّجّال ودابّته يجولون في أسقاع الأرض ردحًا من الزّمن حتّى يميز الله الخبيث من الطّيّب والمؤمن من المنافق والصّادق من الكاذب.

وبعدها يخرج الإمام المهدي عليه السلام فيقتُل المسيح الدّجّال والدّابّة التي كان يركب عليها.

عند ذلك ينزلُ نبيّ الله عيسى بن مريم فيسلّم على الإمام المهدي بالإمامة ويصلّي خلفه.

وقال بعضُهم بأنّ هذه الآية الكريمة تتكلّم عن عصر الظهور وأنّ الدّابة هو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لأنّ الإنسان هو دابّةٌ لقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[1]. وقال أيضًا:

﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾[2].

وقوله سبحانه:

﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ**

(1) هود آية 6.

(2) الأنعام آية 38.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(1). وكذلك قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾(2).

إلى آياتٍ كثيرة أخرى تفيد بأنّ الإنسان هو دابّةٌ من دَوابّ الأرض يعني الدّوابّ التي تعيش على الأرض.

فقوله سبحانه: **﴿إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾** يعني إذا جاء وعدهُ سبحانه وتعالى الذي من حكمته أن جعل لكلّ شيء سَببًا ولكلّ أجلٍ كتاب، عند ذلك سيخرجُ لهم دابّةً من الأرض وهو الإمام الذي كان محجوبًا عنهم. نلاحظ كلمة نخرجُ التي تدُلُّ على إخراج وليس على خلقٍ أو بعثٍ.

لأنّ الخلق من العدم والبعث من بعد الموتِ.

وهذا لا ينطبِق على الإمام المهدي فليس من العدم ليصحّ فيه الخلق وليس هو بميّتٍ ليصحّ فيه البعث، بل هو حيٌّ موجودٌ ولكنّه محجوبٌ عن النّاس فيصحّ فيه الإخراج للنّاس ليعرفوه بعد ما كان

---

(1) النور آية 45.

(2) الشورى آية 29.

مجهولًا لديهم.

ونلاحظ أيضًا قول الله سبحانه: نخرج لهم دابّة من الأرض وهو دليل قاطعٌ على أنّ المهدي موجود مع النّاس في الأرض وليس كما يدّعي بعضهم أنّه رُفع إلى السّماء، أو أنّه سَيولَدُ مستقبلًا كما يدّعي أهل السَّقيفة الكذّابين.

والدّليل الأقوى قوله سبحانه وتعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ وليس هناك دابّة في الأرض تتكلّم غير الإنسان، إذًا فهذه الدّابّة التي سيخرجها الله في آخر الزّمان هو إنسانٌ يتكلّم.

بماذا سيتكلّم هذا الإنسان الموعود؟ سيتكلّم بأنّ النّاس كانوا بآيات الله لا يُوقِنون.

الله أكبر، هل هناك دليل أوضح من هذا على أنّه الإمام المنتظر عليه السلام الذي سوف يكون هو الآية التي كان النّاسُ يختلفون فيها ولا يوقنون بها بمعنى ليس عندهم يقين في أنّه حيٌّ يرزق معهم في الدنيا، ولكنّه في غيبةٍ دامت مئات السّنين.

ومن آيات الله التي لم يستيقن بها المسلمون هي وعده لهم بأنّه سينصُر دينهم على الدّين كلّه ولو كره المشركون.

وحتّى المسلمون الذين إتّبعوا طريق الأئمّة الطّاهرين شكّكَ

بعضُهم في وجوده لطول المدّة وشدّة المحنة.

ولكن وبعد الخروج أو الظهور سوف يتكلّم الإمام مع النّاس بما تكلّم به جدّه المصطفى محمّد بن عبد الله عليه الصّلاة والسّلام وعلى أله وسوف يخرجُ لهم القرآن الذي لم تشوبُهُ يد التّحريف. (1)

القرآن الذي جمعه أمير المؤمنين وإمام المتّقين علي بن ابي طالب عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مُباشرة بشهادة البخاري نفسه الذي روى في صحيحه بأنّ عليّ كرّم الله وجهه تأخّر عن بيعة أبي بكر لمدّة ستّة أشهر في بيته وقال: آليتُ على نفسي أن لا أضع ردائي حتّى أجمع كتاب الله.

وقد قال سلام الله عليه لحكومة السَّقيفة لمّا قدّم لهم كتابه:

هذا القرآنُ من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطِّ يدي، فلم يقبلوه وتأخّر عندهم جمع القرآن إلى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفّان، وهو أشهر الأقوال عندهم، ولا عبرة بمن قال بأنّه جُمع في

(1) المقصود بالتّحريف هنا هو تحريف الألفاظ عن قصدها كما في آية الوضوء التي أصبح المسح فيها غسلًا وآية الخمس التي عُطّلت وفُسّرت بأنّ الخمس لا يجوز إلّا في غنائم الحرب وآية الطلاق التي أصبحتْ في غير عدّة وغير ذلك كثير.

عهد عمر بن الخطاب فجاءتْ المصائب من خلال جمعهم هذا في اختلاف الآيات بالشكل والنقط والهمزات حتّى قيل أنّ هناك عشرة قراءات للقرآن والغريب العجيب أنّهم يقولون بأنّ كلّ القراءات العشرة صحيحة وهو زخرفٌ من القول وحاش ربّ العزّة الحكيم أن ينزّل كلامهُ على عشرة معاني بل حاشاه أن ينزله على معنيين إثنين لأنّه بذلك هو الذي أراد للأمّة أن تختلف ولا تجتمع على شيءٍ كيف وهو الذي يأمر الأمّة بعدم التفرّق والاختلاف.

فلنستمع إليه يقول:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[3].

أبعد هذه الآيات البيّنات تدّعون بأنّ الله سبحانه وتعالى هو

---

(1) آل عمران آية 103 .

(2) آل عمران آية 105 .

(3) البقرة آية 176 .

الذي سبّب اختلافكم وتفرّقكم إذ تدّعون أنّه نزّل كلامه على عدّة معاني؟ إنّه إفكٌ وبهتانٌ عظيم!

إذا إنّه إلهٌ واحدٌ وإنّه قرآنٌ واحدٌ سوف يكون عند إمام الزّمان الإمام المهدي عليه السلام وسوف يمحوا بلا شك هذه القراءات المتعدّدة عند ذلك سيعرف المسلمون الآخرون غِبَّ ما أدّعاه الأوّلون من تحريف وتزييفٍ.

ولذلك قيل في بعض الروايات بأنّ الإمام المهدي سيأتي بدين جديد والحقيقة بأنّه ليس دينٌ جديد وإنّما هو دين الإسلام الذي أُرْسِلَ به محمّد صلى الله عليه وآله وبما أنّ النّاس لم يعرفوه فيبدو لهم جديدًا.

إنتظارُ الفرج

يُروى عن الرسولﷺ أنّه قال:

«خير أعمال أمّتي إنتظار الفرج»

وقد فسّرَها البعْضُ تفسيرًا سلبيًّا بمعنى أنّ الإنسان لا يقدر على شيء فهو مسيّر لما خُلِق لهُ وما عليه إلّا بالصبر وانتظار أن يفرّج الله همّه وغمّه وكربتهُ وهذا يتنافى مع قول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

ويتنافى أيضًا مع سنّة الحياة التي لا بدّ فيها من العمل والجدّ والكدّ ليتحقّق قوله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[1].

---

(1) الملك آية 15.

وحديث الرسول صلى الله عليه وآله لا بُدّ أن يتماشى مع القرآن الكريم ولا يختلف معه مثقال ذرّة.

من أجل ذلك فالحديث يحثّ الأمّة على العمل الصالح الدّؤوب الذي لا ينقطع حتّى ظهور الفرج.

فأحسن الأعمال هو العمل الصالح المستمرّ ما دامتْ روح الإنسان في جسده إلى أن يلقَى ربّه ويفوز برضاه.

وبعض الشّيعة من الأخباريين ذهبوا عكس ذلك وتأوّلوا حديث الرسول صلى الله عليه وآله في قوله:

«سيملأ الأرض قسْطًا وعدلًا كما مُلئَتْ ظلمًا وجورًا» واعتقدوا بأنّ الإمام سوف لن يظهر إلّا إذا مُلئت الأرض بالظلم والجور.

لذلك فهم يعملون على نشر الظلم والفساد ما أمكنهم ذلك ليُعجّلوا حسب ظنّهم ظهور الإمام.

وفاتَ هؤلاءِ بأنّ الظلم والجور قد ملأ الخافقين ولكن علينا أن نفهم أيضًا بأنّ كلمة «مُلِئَتْ» هي تعبيرٌ نسبيّ وتعني أنّ الأغلب عليها هذه الظواهر من الظلم والجور.

والدّليل على ذلك قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«الخير فيَّ وفي أمّتي إلى قيام السّاعة»

وإنّا نرى في هذه الأيّام التي نعيشها، هناك بعض الدّول التي تعيش في بحبوحة من العيش الكريم لا يعرفون الظلم والجور ويعيشون في جنّة النّعيم.

ولا نَرى الظلم والجور مُتفشّي إلّا في الدُّول العربية والإسلامية حتّى نيران الحروب والدّمار لا يوجد إلّا في بلداننا الإسلامية.

ولعلّ هذا ما يدفعنا دائمًا للإعتقاد والقول بأنّ غضب الله سبحانه ما زال مُحيطاً بهذه الأمّة حتّى تَتوبَ إلى رشدها وتتوب إلى ربّها وتستغفره من ذنوبها التي أسَّستْ السّقيفة وما بعدها.

وإذا كان أساس الظلم والجورِ قد طال محمّدًا وعترته فلا تسأل بعد عن الظلم والجور الذي سيطال الأمّة الإسلامية كلّها.

ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم

وقد تمّ تأليف هذا الكتاب بفندق
قصر الدرّ بالنّجف الأشرف
على صاحب المرقد أفضل الصّلاة
وأزكى التّسليم.

وختم في 24 **رمضان** 1443

المصادر

القرآن الكريم

ـ السنّة النبويّة الشريفة.

ـ صحيح البخاري.

ـ صحيح مسلم.

ـ مسند الإمام أحمد.

ـ مستدرك الحاكم.

ـ طبقات ابن سعد.

ـ الإمامة والسّياسة لابن قتيبة.

ـ شرح نهج البلاغة لمحمد عبدو.

ـ تاريخ الطّبري.

الفهرس

المقدّمة 5

السقيفة تؤسس ديناً على قياسها 9

إعتراض منطقي وليس حقيقي 17

الإنقلابُ الخطير 29

مؤامرة السّقيفة ونتائجها 33

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ 43

لماذا أخر الله وَعْدَهُ الحقّ؟ 49

سُنّة الله في خلقه 57

الإمام المهدي ضرورة دينيّة 59

آيةُ الإصطفاء 67

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ 77

الأحاديث التي وردت في الصحّاح لمدح عمر بن الخطّاب يُمكن تأويلها 93

لماذا أخفى الإمام الحسن العسكري ولادة إبنه 97

قصّة المهدي عليه السلام تشبه قصّة موسى عليه السلام 99

أخطر حديث على الدّولة هو حديث المهدي 103

أوّل ظهور للإمام المهدي عليه السلام 107

الغيبةُ الصّغرى والسّفراء الأربعة 113
السّفراء الأربعة الذين إختارهم الإمام عليه السلام 117
إعتراضاتٌ وشكوكٌ في غير محلّها 121
ماهي الحكمة من طول العمر والحياة بدون مرض 125
السيّد محمّد باقر الصّدر ورأيه في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف 127
دعاية الولادة في آخر الزمان 131
رحمة الله الواسعة لا تمنع من تفاعله مع النّاس 135
حُروب الإمام بعد الظّهور 139
غضب الله سبحانه يَستوجب العُقوبة 155
الذينَ يؤذونَ اللهَ ورَسولهُ 159
هل سَيرضى الله على هذه الأمّة بعد الغضب؟ 169
المُمَهِّدُونَ لِلْمهدي عليه السلام 181
الحركات الإسلامية في العالم تستبشر بالمهدي عليه السلام بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران 191
إدّعاءُ لقاء أو مشاهدة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف 197
دّابّةُ الأرضِ 201
إنتظارُ الفرج 209
المصادر 213